

بلاد الشام من خلال كتابات الرحالة الألماني
بوركهارد من جبل صهيون
[ت : حوالي سنة ١٢٨٣ م]

إعداد

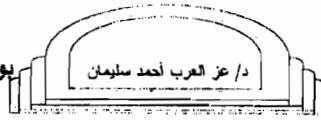
د. عز العرب أحمد سليمان
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة أسيوط

مقدمة:

اهتم الرحالة الغربيون بزيارة الأراضي المقدسة منذ أقدم العصور وحتى الوقت الراهن، وذلك لأهميتها الدينية في المقام الأول، ثم لأهميتها الاقتصادية بعد ذلك، فهذه البلاد في نظرهم هي مهبط الوحي ومركز الإيمان، وأرضها شرفت بزيارة معظم الأنبياء والرسل، كما حظيت بوجود المزارات المقدسة بها، الأمر الذي جعل الكثير من الحجاج المسيحيين والرحالة يتحملون المخاطر والمشاق في سبيل زيارتها.

ويتناول هذا البحث بالدراسة، بلاد الشام من خلال كتابات الرحالة الألماني بوركهارد من جبل صهيون. وتتمثل أهمية الموضوع في ثراء رحلة ذلك الرحالة بالعديد من الإشارات الدينية والسياسية والاقتصادية، علي نحو ضمن لها ميزة التميز بين رحلات الرحالة الأوربيين الذين قدموا إلي بلاد الشام عصر الحروب الصليبية.

كانت هناك عدة صعوبات تواجه الباحث في مثل هذا الموضوع منها، ثراء تلك الرحلة كما أشرت، لذلك كان علينا عدم الاعتماد عليها وحدها، بل لا بد من الاتجاه إلي نصوص الرحلات الأخرى للرحالة الغربيين الذين عاصروا مرحلة الحروب الصليبية.



وسوف نتجه فى هذا البحث إلى دراسة عدة عناصر، تتمثل فى صور التعريف بالرحالة بوركهارد من جبل صهيون، ومدن الساحل الشامى من خلال رحلته، ثم المناطق الداخلىة التى تناولها، والأماكن والمزارات المقدسة فى فلسطين، والإشارات الاقتصادية فى الرحلة، ثم صورة المسلمين فى بلاد الشام من خلاله، والخريطة المذهبية لبلاد الشام، والنقد الذاتى للصليبيين من خلال كتاباته، ثم خاتمة بأهم ما توصلنا إليه من نتائج أثناء العرض.

والواقع أنه من الضرورة بمكان أن نتناول حظ الموضوع من الدراسات السابقة، وفى هذا المجال أود أن انوه إلى أنه لا توجد دراسة متخصصة عنه، سوى تلك الذى أعدها المؤرخ أرييه جرابوا Aryeh Grabois أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة حيفا، وهى بعنوان " الحجاج المسيحيون فى القرن الثالث عشر ومملكة بيت المقدس اللاتينية: من خلال الرحالة بوركهارد . Christian Pilgrims in the Thirteenth

Century and the Latin Kingdom of Jerusalem: Burchard of Mount Sion" كما

أن المؤرخ الفلسطينى سعيد عبد الله البيشاوى قام بترجمة رحلة بوركهارد فى الأرض المقدسة إلى اللغة العربية، وزود ترجمته بالعديد من التعليقات البناءة، بحكم أنه أحد أبناء هذه الأرض المقدسة، وقد اعتمدت على هذه الترجمة فى هذه الدراسة، وذلك لما حوته من تعليقات قيمة أثرت البحث كثيراً . والله ولى التوفيق،

الباحث،

تعريف بالرحالة الألمانى بوركهارد:

كان بوركهارد ^(١) Burchard المنسوب إلى دير جبل صهيون ^(٢) Mount Sion ، أحد رهبان طائفة الدومينيكان، ^(٣) من أصل ألماني جاء من مدينة ستراسبورج الألمانية Starsbourg أو من مدينة ماجديبورج Magdebourg ^(٤) ولا توجد في متناول أيدينا أية معلومات تتعلق بأسرته، أو بنشأته المبكرة أو حياته الفكرية أو الأدبية، كذلك لا توجد لدينا أية معلومات عن حياته العملية سواء قبل حجه إلى الأراضي المقدسة في فلسطين ، أو بعد عودته منها إلى أوروبا، حتى إن تاريخ وفاته غير مؤكد، علي الرغم من صياغة فروض حول ذلك، وإن معرفتنا به تقتصر علي بعض الملاحظات الخاصة بسيرته الذاتية، والتي تبدو في نسخ مختلفة من كتابه: " وصف الأرض المقدسة ". عاش بوركهارد في القرن الثالث عشر الميلادي، ومن خلال الأحداث التي وردت في رحلته ، يرجح من خلال الأحداث التي وردت بالرحلة أنه قام بزيارة الأراضي المقدسة، أثناء فترة حكم السلطان المملوكى المنصور قلاوون (١٢٧٩-١٢٩٠م)، وهذا يجعلنا نفترض أن أول مسودة لهذه الرحلة كتبت في الفترة ما بين سنة ١٢٨٠ و ١٢٨٣م، ^(٥) وأن وفاته قد حدثت في سنة ١٢٨٣م تقريباً، حيث إن إشارات رحلته تفيد أنه كان حياً قبيل هذا التاريخ. ^(٦)

من الواضح أن بوركهارد زار معظم بلاد الشام، بما فيها المناطق التي لازالت خاضعة لحكم الصليبيين آنذاك، وأيضاً الأجزاء الرئيسية من أراضيها السابقة، والتي خضعت لسيطرة المماليك، كما زار مناطق أخرى هامة مثل مصر

ومملكة قيليقية،^(٧) (أرمينيا الحالية) وقد أعد بوركهارد نفسه جيداً لرحلة حجه إلى الأرض المقدسة،

وذلك بتزويد نفسه بقراءة العهدين القديم والجديد، وإلى جانب ذلك فقد عرف عنه إلمامه بكثير من الأحداث التاريخية السابقة لعده، وربما يرجع ذلك لسعة إطلاعه وقراءته لكثير من الكتب التاريخية أيضاً مثل: كتاب تاريخ الكنيسة الذي كتبه الأب يوسابيوس القيصري، وكتابات القديس جيروم، والمؤرخ اليهودي يوسيفوس، فضلاً عن قراءته لقصائد الشاعر الرومانى هوراس، فتلك كانت مراجعه الرئيسية التي ظهرت في كتابة رحلته، كما كان مطلعاً أيضاً على ما كتبه معاصروه، ولم يغفل كتابات الرحالة السابقين له في الأراضي المقدسة، فقد قرأ رحلاتهم بكل تفحص وتدقيق قبل أن يستشهد بما كتبه في رحلته، وعلي سبيل المثال اعتمد علي كتاب تاريخ الشرق للمؤرخ جاك دي فترى Jacques de Vitry،^(٨) فقد استمد منه الكثير من المعلومات. ويبدو من خلال ما كتبه بوركهارد في رحلته أنه أخضع مصادره للنقد، وعلق عليها في أكثر من موضع بالرحلة.^(٩) ولعل ذلك ما جعل كتابه عن وصف الأرض المقدسة عملاً متميزاً، عما سبقه من الرحالة الغربيين الذين كتبوا عن نفس الموضوع.^(١٠)

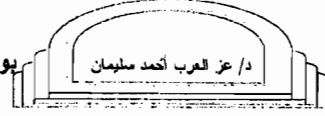
كما نلحظ من خلال كتاباته أنه تميز بقوة الملاحظة وسعة الاضطلاع، وأظهر نكاهاً حاداً في معرفة كل ما يستطيع الحصول عليه من معلومات خلال تجواله في بلاد الشام، كما أنه كان ذا قدرة علي استيعاب المعلومات التي حصل عليها، وجودة العرض الجغرافى لكافة مظاهر الحياة التي شاهدها في الأراضي المقدسة بفلسطين، وقد انعكس



ذلك علي رحلته التي اتسمت بالثراء والإسهاب، وقد احتلت مكانتها الجديرة بها بين المؤلفات الجغرافية الأوربية التي وصلت إلينا.^(١١)

كما تميز بوركهارد بالاتجاه النقدي في كتابة ملاحظاته أثناء تدوينه الرحلة، والتي تتعلق ببعض أماكن القديسين الأوائل في فلسطين، وإن أحداً لم يحاول التشكيك في تقواه ، وإيمانه الراسخ فيما سجله من آراء حول الأماكن الأصلية، المرتبطة بحياة السيد المسيح التي زارها في سراديب الكنائس قائلاً: " أن السبب الوحيد الذي يمكن تفسيره لذلك، كان نتيجة للتدمير المتكرر الذي أصابها ".^(١٢) ولا شك أن ذلك يدعم التصور بنزعه العقلانية، وهي خاصية لم تتوافر لرحالة أوربيين سابقين له.

وقد أعتبرت رحلة بوركهارد إلي الأراضي المقدسة، من أفضل رحلات الوصف التي قام بها حاج من حاج بيت المقدس في القرن الثالث عشر الميلادي من قبل المتخصصين، وأصبحت رحلته تعد واحدة من أعظم رحلات الوصف في أواخر العصر الوسيط.^(١٣) بالرغم من تأثر بوركهارد في الخلط بين الحكايات الخرافية والحقيقية، لكنها سمة الكتابة في العصور الوسطي، فقد لاحظنا وجود بعض هذه القصص والحكايات الخرافية في رحلته، إلا أن مثل هذه الأشياء لا تنقص من أهمية وقدر هذه الرحلة.^(١٤)

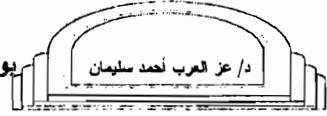


ليس من شك أن الفترة الطويلة التي قضاها بوركهارد في الأراضي المقدسة والتي تخطت العشر سنوات (١٢٧٠ - ١٢٨٠م)، أي في الوقت الذي كانت فيه دولة المماليك في مصر تبسط نفوذها علي معظم بلاد الشام، وكانت تعيش أوج قوتها وعظمتها، فقد حققت جيوشها العديد من الانتصارات، وكانت لها أياد بيضاء في تسديد الضربات القوية للصليبيين ببلاد الشام، الأمر الذي أفقدهم توازنهم بالمنطقة.^(١٥) وبصفة عامة يمكن القول أن بوركهارد وضع لنا سफراً مهماً وشاملاً عن أحوال بلاد الشام والأراضي المقدسة خلال تلك الفترة، وأعطانا وصفاً بارعاً ودقيقاً، للأماكن والمقدسات الدينية في فلسطين وغيرها من البقاع الشامية.^(١٦)

الساحل الشامي في رحلة بوركهارد:

ليس من شك أن الإقامة الطويلة للرحالة بوركهارد في الأراضي المقدسة، أمدته بخبرة بالساحل الشامي والأراضي المقدسة، مكنته من معالجة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ببلاد الشام، أما تلك التي لم يتسن له رؤيتها، فقد قام بالاستفسار عنها لدي الذين شاهدوها من أصحاب الخبرة في ذلك.^(١٧)

والملاحظ أن هذه الرحلة تمتاز بالثراء الجغرافي، فقد اهتمت بوصف العديد من المدن والقرى والأنهار والبحار والبحيرات والوديان والتلال والجبال، وأيضاً تضمنت وصفه للعديد من الأديرة والكنائس والقلاع والحصون الحربية، وذلك بصورة تجعله يتفوق علي عدد من الرحالة



الأوربيين الذين قدموا وكتبوا عن بلاد الشام فى القرن الثانى عشر.^(١٨) والذين جعلوا كل اهتمامهم ، لزيارة ووصف الأضرحة والأماكن المقدسة المرتبطة بما ورد بالكتاب المقدس، غير معنيين بواقع مملكة بيت المقدس الصليبية، سواء السياسى أو الاقتصادى، وأحيانا يصل بهم الأمر للقُدوم إلى أماكن ، ربما لا يكون لها أى أساس واقعى أو تاريخى، وذلك لارتباطها بالخرافة.^(١٩) وسوف أقصر حديثى هنا على ذكر بعض أهم المدن الشامى والأراضى المقدسة التى وردت بالرحلة.

من المعروف أن لفظ سوريا أطلقه المؤرخون، والرحالة الغربيون على بلاد الشام، لكن بوركهارد قرر فى كتابه أن معظم الأرض الواقعة بين نهر دجلة ومصر تدعى سوريا الكبرى، ثم قسم هذه المنطقة لعدة سوريات دعاها بأسماء مختلفة.^(٢٠) كما قسم الأراضى المقدسة فى فلسطين، إلى ثلاثة أقسام حمل كل قسم منها اسم فلسطين، معتبراً أن أقسامها الثلاثة جزءاً من سوريا الكبرى.^(٢١) ويلاحظ أن معلومات بوركهارد عن تقسيمات فلسطين الإدارى تبدو غير دقيقة، فقد جعل بيت المقدس عاصمة لفلسطين الأولى، وهذا خطأ من الناحية التاريخية لأن مدينة قيسارية البحرية^(٢٢) هي عاصمة فلسطين الأولى.^(٢٣) فضلاً عن ذلك فإن بوركهارد جعل مدينة قيسارية البحرية عاصمة لفلسطين الثانية، وهذا خطأ أيضاً والصحيح أن مدينة بيسان^(٢٤) هي العاصمة لفلسطين الثانية.^(٢٥) كما أن بوركهارد لم يوفق عندما جعل بيسان عاصمة لفلسطين الثالثة، والصواب أن مدينة البتراء كانت هي العاصمة الرئيسية لفلسطين

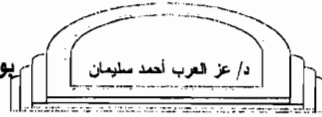


الثالثة.^(٢٦) ويبدو أن أخطائه هذه كانت بسبب اعتماده علي مصادر غير دقيقة في هذه النقطة.^(٢٧)

تناول الرحالة الألماني بوركهارد بوصف دقيق العديد من مدن الساحل الشامي، والأراضي المقدسة، وسوف يقتصر حديثي علي عرض لأهم المدن التي تناولها من خلال رحلته، ونبدأها بعرضه لمدينة عكا Acre^(٢٨) والتي جعلها مركزاً لتقسيماته لبلاد الشام والأراضي المقدسة، باعتبارها أكثر شهرة من غيرها، وبدأ منها وصف المدن الشامية،^(٢٩) فقد أشار عنها في وصفه بأنها مدينة حُصنت بالأسوار والتحصينات الخارجية، وكذلك الأبراج والخنادق وحصون أمامية ذات قوة عظيمة، وكانت المدينة مثلثة الشكل ، بحيث يواجه الجانبان منها البحر المتوسط، أما الجانب الثالث يواجه السهل المحيط بها، وهو سهل خصيب جداً، كان مزروعاً في أيام بوركهارد بالحدائق وأنواع مختلفة من أشجار الفواكه، فضلاً عن ما كان بهذه المدينة من الأماكن الحصينة، والمتمثلة في القلاع والحصون التابعة لجماعات الدينية المعروفة بفرسان الداوية Templars^(٣٠)، والإسبتارية Knights of the Hospital^(٣١) وجماعة التيوتون Teutonic Order^(٣٢)، وتتبع هذه المدينة ممتلكات ملك بيت المقدس،^(٣٣) ولاحظ بوركهارد أن ميناء عكا كان يقع إلي الجنوب منها، وقد رأي السفن الراسية فيه.^(٣٤) ومما ذكر عن عكا أنها من أجمل مدن الساحل الشامي بعمرانها، عامرة بصناعاتها ، وعرف ميناؤها بأنه كان صالحاً لرسو السفن طوال العام.^(٣٥)

أما إشاراتة عن مدينة صور Tyre؛ فقد ذكر أنها تقع على ساحل البحر، وأعيد بناؤها على يد الفينيقيين، وحرص بوركهارد على تأصيل إشاراتة من خلال ما ورد بشأنها في الكتاب المقدس، ولاسيما العهد القديم،^(٣٦) وقرر أن المدينة كانت ذات شكل دائري، تنتصب في البحر فوق صخرة قوية، مسورة من جميع الجوانب القريبة من البحر، باستثناء الجهة الشرقية لها.^(٣٧) كما أشار إلى أهمية مدينة صور الدينية من خلال أنها كانت بمثابة العاصمة الدينية لولاية فينيقيا، ومقر إقامة رئيس الأساقفة، ويذكر بوركهارد أنه مكث فيها عشرة أيام، مكنته من دراستها ووصف أسوارها وقلاعها، وما بداخلها من تحصينات^(٣٨)، وقد أكد الكثير من الجغرافيين والرحالة، مثل المقدسي والاصطخري وابن جبير، وياقوت الحموي وغيرهم، ومن الرحالة الغربيين مثل بنيامين التيطلي^(٣٩) وثيرودريش^(٤٠)، ويوحنا الورزبورجي^(٤١)، وما كتبه جاك دي فترى ووليم الصوري^(٤٢) على صحة الوصف الذي أمدنا به بوركهارد عن بيت المقدس.

كما تحدث بوركهارد عن الثروة المائية الوفيرة، والتي تميزت بها المدن والقرى الشامية وخاصة في مدينة صور، فحدثنا عن تدفق مياه الأنهار والينابيع المتجهة إليها، ومن أشهر ينابيعها نبع رأس العين،^(٤٣) والذي كان يروي آنذاك الأراضي السهلية بالمدينة، حيث الحدائق والبساتين وكروم العنب، وقصب السكر الذي كان يزرع بكميات وفيرة، وقد حصل حاكم صور من ذلك على عائدات كبيرة.^(٤٤) كما اشتهرت مدينة صور في وصف بوركهارد بوجود جداول للمياه الجارية، والتي سُحبت إلى داخل

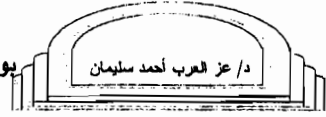


المدينة، ليستخدمها الأهالى فى المنازل، وذلك عن طريق أناييب ذات أشكال هرمية،^(٤٥) وذكر أنه رأى آثارها بنفسه.^(٤٦)

وعلى الرغم من أن بوركهارد قد أصاب فيما وصف به مدينة صور، إلا أنه أغفل جوانب أخرى تعطي لهذه المدينة تميزاً كبيراً من حيث مكانتها التجارية، كأحد أهم مراكز تصدير السلع للغرب الأوربي،^(٤٧) خلال فترة الحروب الصليبية، كما لم يشير أيضاً إلى تجارة الترانزيت المارة بمدن الشام.^(٤٨)

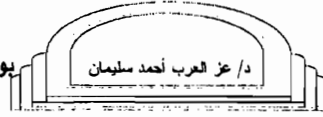
وفى حديثه عن مدينة صيدا، فقد ذكر أنها تقع على بعد أربعة فراسخ^(٤٩) (١٧٦ و ٢٢٢ كم) من صرفند الصيداوية،^(٥٠) وهى أعظم مدينة فى ولاية فينيقيا^(٥١) حجماً واتساعاً، حيث تمتد من الشمال للجنوب عند سفح جبل لبنان الغربى، الواقع بين المدينة والبحر،^(٥٢) وذكرها بوركهارد بأنها مدينة محصنة، وفائقة الجمال، استخدمت كموقع عسكري، لأنها تشرف على البحر، ولها قلعتان مسورتان على جانبي المدينة، وقد امتلك جماعة فرسان الداوية هذه المدينة وقلعها . أما الأرضى المجاورة لمدينة صيدا فقد تميزت بالخصوبة، وكانت تذخر بالمحاصيل الوفيرة، حيث زرع فيها قصب السكر الجيد وأشجار الكرمة، هذا إلى جانب مناخها الصحى الذى تميزت به.^(٥٣)

وعند تناوله مدينة بيروت الشهيرة والعريقة، تحدث عن أهميتها الدينية، فذكر أنها تقع على بعد تسعة فراسخ (٨٩٦ و ٤٩٩ كم) من مدينة صيدا، ويعتبر أسقف بيروت أسقفاً مساعداً لرئيس الأساقفة فى صور،



ومعه أسقف صيدا، وقد اتسعت الأسقفية في صور في هذه الجهة بمسافة ثلاثة فراسخ (٦٣٢ و١٦ كم) حتى وصلت نهر الكلب الذي يصب في البحر المتوسط.^(٥٤) وعند هذا الممر تنتهي حدود بطريكية إنطاكية وإمارة طرابلس.^(٥٥) ومن الواضح هنا أن الرحالة بوركهارد ركز علي الجانب الدينى لمدينة بيروت، وتغافل الجوانب الأخرى مثل الجانب الاقتصادى، والعسكرى والاستراتيجى للمدينة، والتي تميزت بها كواحدة من أكبر وأعرق المدن الشامية في ذلك الوقت.

وقد حظيت مدينة طرابلس بأهمية خاصة في إشارات، فقد ذكر عنها أنها مدينة ذات شهرة فائقة، وتشرف علي شاطئ البحر المتوسط، وتشبه في ذلك موقع صور، وكانت مزدحمة بالسكان وكان يقطنها في أيامه اليونانيون واللاتين والأرمن والموارنة والنساطرة وجماعات أخرى كثيرة.^(٥٦) ويؤكد بوركهارد بإشارات قاطعة أنه يمكن إطلاق اسم " الجنة علي الأرض " علي مدينة طرابلس، بسبب وجود كروم العنب وأشجار الزيتون الممتدة علي مساحات واسعة، فضلاً عن وجود أشجار التين وقصب السكر. وألحظ مبالغة شديدة في وصفه لطرابلس، باعتبار أن كل مدن الساحل الشامى يتميز تقريباً بنفس الإيجابية التي ذكرها عن طرابلس، ومن باب هذه المبالغة ذكره بالقول عنها " إنني لم أر مثلاً في أي جزء من العالم ". أما السهول الواسعة والواقعة أمام بوابات المدينة فقد اشتملت علي حدائق يزرع فيها بوفرة مختلف أنواع الفاكهة، ويقال أنها كانت تدر سنوياً نحو ثلاثمائة بيزنط^(٥٧) لملكها.^(٥٨)



كما تحدث بوركهارد عن مدينة أرواد البرية (انتارادوس) المعروفة باسم طرطوس،^(٥٩) وفيها بين أنها تشمل سهلاً يشرف عليه عدد من القرى، والبساتين المزروعة بأشجار الزيتون والتين الجميلة، وأشجار الفاكهة الأخرى ذات الأنواع المختلفة والغابات الكثيرة، علاوة على ذلك؛ فالسهل كان في أيامه محاطاً بالجداول والمراعى الكثيرة، حيث أقام هناك الأتراك والبدو والتركمان في الخيام مع زوجاتهم وأطفالهم وقطعان مواشيهم وجمالهم وأغنامهم. (٦٠)

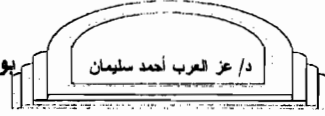
كما تناول مدينة بانياس بعدة إشارات، حيث ذكر أنها تقع في الوادي القريب من بيت راحوب، عند سفح جبل الشيخ (جبل لبنان) وتبعد عن صيدا بمسافة أحد عشر فرسخاً (٩٨٤ و٦٠ كم) ويوجد بالقرب منها عند سفح جبل لبنان جدولان هما جور ودان (حيث يعرف موقع دان الآن باسم تل القاضي) ويلتقى هذان الجدولان أمام بوابة المدينة ويشكلان نهراً واحداً هو نهر الأردن، حيث يقع بالقرب منه مشهد النبي أيوب عليه السلام. (٦١)

وصفوة القول أن ما أتى به بوركهارد من وصف للمدن حول الساحل الشامى قد أفادنا بثراء معلوماته الجغرافية التي انطوت على تفاصيل دقيقة تعكس مدي أهمية موقع كل مدينة بهذا الإقليم، وما حوته من منشآت ومآثر طبوغرافية.

المناطق الداخلية من بلاد الشام في رحلة بوركهارد:

حظيت المناطق الداخلية من بلاد الشام باهتمام كبير من جانب بوركهارد، فقد أفرد لها قسماً خاصاً في رحلته، جعله يبدأ من مدينة عكا ويسير مباشرة نحو الشرق، وأمدنا بإشارات هامة عن بداية تشكل نهر الأردن من أمام مدينة بانياس ماراً بعدة مدن هامة حتى يصب في بحيرة طبرية، ومن أشهرها مدينة كفر ناحوم،^(٦٢) والتي ذكرها بأنها كانت مدينة شهيرة ثم تراجع حتى صارت في أيامه مدينة متواضعة، فقد ضمت قليلاً من منازل صائدي الأسماك الفقراء." ^(٦٣) كما تحدث عن مدينة قيذار الشهيرة،^(٦٤) التي شيدت علي الجانب الشرقي لجبل سعير، وذكر أنها تقع علي بعد أربعة فراسخ إلي الشرق من مدينة كورازين،^(٦٥)

وعلي مقربة من مدينة كورازين تقع مدينة دوئان،^(٦٦) التي أشار إلي وقوعها علي سفح جبل بيت أوليا، وهي مدينة رائعة الجمال محاطة بالكروم والزيتون والتين وبالمراعي، وعلي بعد فرسخ واحد منها، يذكر بوركهارد أن يوسف (عليه السلام) وجد أخوته. وفي هذا المكان الواقع بين الحقول لا تزال الحفرة (البئر) التي وضع فيها يوسف من قبل أخوته ظاهرة للعيان. وفي ذلك يفيد بوركهارد أنه رآها بنفسه علي جانب الطريق المؤدي من جلعاد^(٦٧) الذي يلتقي في بيت صيدا بالطريق المؤدي من سوريا إلي مصر.^(٦٨)



وعلي ساحل بحيرة طبرية التي تعرف باسم (بحر الجليل)،^(٦٩) تقع مدينة طبرية الجليل الرائعة، وكانت تدعى قديماً باسم بحيرة جينساريت،^(٧٠) وقد سمي البحر باسمها، ومع مرور الزمن استعيدت بواسطة هيرودس حاكم إقليم الجليل،^(٧١) وسميت طبرية علي شرف الإمبراطور الروماني تيبيريوس،^(٧٢) وهي تمتد علي طول ساحل بحر الجليل. وقد أطلعنا بوركهارد بما حوته المدينة من حمامات طيبة، والعديد من الآثار، وخصوبة تربتها، وتنوع محاصيلها.^(٧٣)

كما أشار بوركهارد إلي مدينة بيسان (بيت شان)، والتي تقع بين جبل فقوعة "جلبوع" ونهر الأردن،^(٧٤) وهي علي بعد نصف فرسخ من النهر، وكان يطلق عليها قديماً سكيثوبوليس، وهي تمتلك السحر والجمال في طبيعتها.^(٧٥) وقد لاحظ بوركهارد أنه علي بعد فرسخين (٨٨ و١١ كم) كانت تتدفق في غرب المدينة عين ماء كبيرة، ذكرها (عين يزرعيل) أو عين جلوذ (عين جالوت). كما أشار إلي مدينة زرعين^(٧٦) التي تقع علي بعد مسافة قصيرة (قدرت بحوالي رميتي سهم) من عين جلوذ، حيث شيدت علي منطقة مرتفعة نوعاً ما، وكانت قديماً إحدى المدن الفخمة، وقد حدثت معارك عديدة، فوق السهل الواقع بين جبلي فقوعة "جلبوع" وحرمون، كان آخرها حرب التتار ضد المسلمين.^(٧٧)

أما إشارته عن مدينة جنين،^(٧٨) فذكر بوركهارد أنها تقع علي سفح جبال نابلس (جبال إفرائيم) وعلي بعد أربعة فراسخ إلي الجنوب من زرعين، كما أشار إلي أنها تقع علي بعد نحو سبعة فراسخ غربي



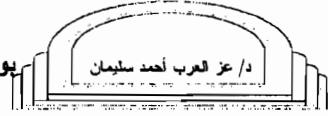
نهر الأردن، والتي يحدها من الجنوب أرض طمون المتميزة بجبالها الشاهقة. (٧٩)

كما أشار بوركهارد إلى مدينة شكيم التي عرفت في أيامه نيابوليس^(٨٠) (نابلس) وبين بأنها مدينة جميلة، خالية من التحصينات الحربية، الأمر الذي جعل سكانها يهربون سريعاً من الأبواب الأخرى حالة تعرضهم للخطر، والاعتصام بالجبال المجاورة لها. وقد لاحظ بوركهارد قرب هذه المدينة من بئر النبي يعقوب عليه السلام، علي جانب الطريق المؤدي إلى بيت المقدس. (٨١)

ثم تحدث بوركهارد عن زهرة المدائن بيت المقدس^(٨٢) قائلاً: " هي مدينة الإله الأعلى " ، والتي تقع في منطقة جبلية، وتحيط بها الجبال من كافة الجوانب، وعلي الرغم من ذلك فإن أراضيها توصف بخصوبتها، ويستثني من ذلك الجانب الشرقي للمدينة، الذي يقع باتجاه الأردن. وعن المناطق المجاورة للمدينة فقد ذكرها بأنها تمتاز بالخصوبة. كما بين بوركهارد المسافة بين بيت المقدس والمدن الهامة المجاورة قائلاً: " وبيت المقدس تقع علي بعد ستة عشر فرسخاً من سبسطية، وثلاثة عشر فرسخاً من شكيم، وسبعة وثلاثين فرسخاً من مدينة الناصرة، وستة وثلاثين فرسخاً من عكا، وتقع المدينة المقدسة علي بعد ثلاثين فرسخاً من مدينة يافا، وعلي بعد سبعة فراسخ من مدينة أريحا،^(٨٣) والى الجنوب من بيت المقدس تقع بيت لحم علي بعد فرسخين من بيت المقدس، وتقع أيضاً علي بعد ثمانية فراسخ من مدينة الخليل ". (٨٤)

أشار بوركهارد إلى أن مساحة المدينة المقدسة بلغت ٧٤٦٢ متر أي ما يعادل خمسة أميال،^(٨٥) وأن مساحة المدينة زادت بالتوسعات التي أقامها فيها المسيحيون فيها، وذلك بعد التدمير الذي حدث للمدينة علي يد الرومان في الأزمنة الأولى، وقد وصلت توسعاتهم للمدينة المقدسة، حتى حصروا المكان الذي يوجد فيه قبر السيد المسيح داخل الأسوار.^(٨٦) كما بين بوركهارد أن سور المدينة قد تم بناؤه علي الصخرة، حيث يطوق هذا السور المدينة المقدسة من كل جوانبها.^(٨٧) كما أشار بوركهارد إلي أبواب المدينة المقدسة، حيث أفاد بوجود ثمانية أبواب بالأسوار^(٨٨) المحيطة بالمدينة وهي: بوابة الخليل التي تقع في الجانب الغربي من جبل صهيون،^(٨٩) وبوابة القضاء^(٩٠) ثم بوابة العمود^(٩١) (بوابة القديس ستيفن) يليها بوابة السامرة (بوابة الزاوية)^(٩٢) وبوابة الدمن (بوابة الروث)^(٩٣) ثم بوابة الأسباط والمعروفة أيضا بوابة الوادي أو بوابة الضأن^(٩٤) والبوابة الذهبية (بوابة التوبة) التي أفاد بأنها بوابة تؤدي إلي المعبد.^(٩٥) وأخيراً أشار بوركهارد إلي بوابة المغاربة أو (بوابة عين سلوان).^(٩٦)

كما أشار بوركهارد أيضا إلي الجبال التي تشرف عليها المدينة المقدسة، فقد ذكر أنها تشرف علي جبل صهيون من ناحية الجنوب، وعلي صخرة تعتبر جزءاً من جبل جيحون المرتفع،^(٩٧) ولاحظ بوركهارد أن مدينة بيت المقدس تقع علي أرضية رائعة حيث يمكن رؤية مقاطعة العربية، وجبال إبراهيم، ونبو،^(٩٨) وسهل الأردن وأريحا والبحر الميت والبتراء، فذكر قائلاً: " ولم أر بحياتي مدينة أو مكاناً يعطي منظرأ أجمل



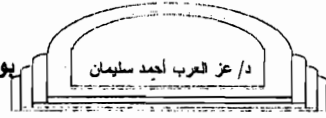
منه، بحيث يصعد إليها المرء فوق الهضاب من كل الزوايا، بسبب وقوعها فوق الأرضية الأكثر علواً في تلك الأرض". (٩٩)

وقد انتهى بوركهارد من وصفه للمدن الداخلية في بلاد الشام، بالحديث عن مدينة بيت لحم المقدسة، فذكرها أنها تقع إلى الجنوب من بيت المقدس بحوالي فرسخين، وهي المدينة التي شرفت بميلاد النبي داود، والسيد المسيح (عليهما السلام)، وتقع إلى اليسار من الطريق المؤدي للجليل، على جبل صغير شاهق الارتفاع. (١٠٠)

ومما يجدر ذكره، أنه عند المقارنة بين ما أورده ذلك الرحالة عن مدن بلاد الشام وخاصة في فلسطين، وبين ما ذكره الرحالة الغربيون الذين سبقوه وزاروا الأراضي المقدسة في القرن الثاني عشر الميلادي، نجد أن مدينة بيت المقدس استأثرت بنصيب وافر من حيث التفاصيل الدقيقة التي قدمها، وهو أمر منطقي تماماً نظراً لقدسيته، وكونها الهدف النهائي لرحلات الحجاج الأوربيين.

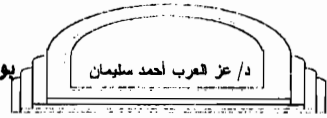
وصف بوركهارد للمزارات المقدسة في فلسطين:

قدم بوركهارد وصفاً دقيقاً للأرض المقدسة في فلسطين، وما حوته من مزارات وأماكن مقدسة، بشكل فاق غيره من الرحالة الذين زاروها، وذلك بهدف إعطاء صورة صادقة لكل من أحب رؤية هذه الأماكن من جهة، ولكل راغب في القراءة عنها من جهة أخرى، فذكر أنها الأرض التي قدسها السيد المسيح (عليه السلام)، والتي " ما تزال تسابيح تترنم يوماً في كل كنائس العالم ". (١٠١)



يؤكد بوركهارد بأنه لم يكن لديه أولويات في وصفه المزارات الدينية المقدسة التي قام بزيارتها، فقد تابع وصفه لهذه الأماكن بتأثير انطباعاته الشخصية، وفي بعض الأحوال كانت هذه الانطباعات هي سبب تناوله لأماكن معينة بالتفصيل الوافي، بينما كان يكتفي بملاحظات موجزة نسبياً عن أماكن أخرى، وهو ما سنلاحظه فيما بعد. (١٠٢)

كما أشار بوركهارد إلي شوق المسيحيين، تجاه زيارة القدس، حيث توجد المزارات المقدسة، وقدم لنا صورة رائعة لما رآه في تلك الأماكن، وما تردد بخيالاته عن بعضها الآخر، فهو يقول: " أليس ضريح (قبر) المسيح أحق بأن يكون له مقام رفيع، وشأن أكبر بالنسبة لنا، حيث يرتاده الإنسان في أي وقت، فالإنسان يراه عدة مرات في خياله، قابلاً ملفوفاً في الكفن المقدس المصنوع من الكتان، وعندما يذهب المرء لأبعد من ذلك بقليل ، فإنه يري الحجر يتدحرج، ويرى الملائكة تجلس حوله "، ومن الواضح أن الرحالة بوركهارد تصور من خلال قدسية هذه الأماكن والمزارات المقدسة التي رآها ، أن المسيحيين عندما يروا هذه الأشياء فإنهم سوف يتعجلون القدوم لزيارة بيت لحم، لكي يستحضروا عظمة وقدسية تلك الأحداث التي حدثت للسيد المسيح (عليه السلام) منذ مولده، وحتى نزوله تحت ثقل الصليب بمساعدة سمعان القوريني (١٠٣). ويقرر بوركهارد أن كل الأماكن التي شهدت آلام السيد المسيح (عليه السلام) ، ما زالت قائمة وكأنها تحكي ما شهدته من أحداث مر بها السيد المسيح



(عليه السلام) فى تلك الأرض المقدسة. ويسرى أن ذلك سوف يثير حماس المؤمنين لزيارة تلك المقدسات التى رآها بعينه.^(١٠٤)

وفىما نراه صحياً أن وصف بوركهارد للأراضى المقدسة لم يكن أحادياً، بل سبقه الكثير من الرحالة الذين زاروا المنطقة، وقد كان لمثل هذا التمس الذى شارك فيه بوركهارد وآخرون سابقون عليه قد أثمر بإيجابية، بدليل أن زيارة هذه الأماكن المقدسة قد لقيت قبولاً وترحيباً من قبل المسيحيين فى الغرب تبعاً على مر السنين والأعوام.

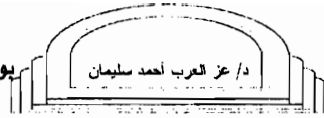
كما أن بوركهارد أعطى صورة لمدي زيادة عدد الزائرين للأراضى المقدسة، فى تلك الفترة وخاصة من الرهبان والراهبات،^(١٠٥) فأطلعنا بما يفيد أنهم كانوا يطوفون حول الأرض المقدسة المباركة، بمجموعات يصل عددها المائة أو المائتين لكل مجموعة تقريبا، ويزورون كل مكان مقدس، وبحماسة متقدمة يقبلون مسقط السيد المسيح، ويبجلون الأماكن التى سمعوا أنه جلس أو وقف عليها، أو عمل عملاً هناك، مبنياً ما أقبلوا عليه من: "ضرب الصدور ولطم الوجوه والبكاء الشديد".^(١٠٦) ونستنتج من خلال ما أورده، رغبته فى إثارة أهل الغرب الأوروبى ومؤمنيه، لكى يفدون بأعداد كبيرة إلى الشرق لزيارة الأراضى المقدسة.

كما لم يكتف بوركهارد بوصف الأماكن المقدسة فقط، بل نراه يعود لذاكرة التواريخ القديمة (التى وردت بالكتاب المقدس)، لىظهر لنا مدي أهمية وقديسية وطهارة هذه الأماكن أيضاً، التى جذبت إليها الأنبياء والصالحين، حيث قدم إليها إبراهيم (عليه السلام)، لىنصب خيمة بين بيت

إيل وعاي،^(١٠٧) ويقم إقامة مؤقتة في مدينة جرار،^(١٠٨) ويئر السبع ثم في الخليل. وكذلك تحدث عن مريم العذراء المبجلة، التي لم تقنع بسهول الجليل الجميلة الواسعة، وانطلقت مسرعة للصعود إلي بلدة جبلية من بلدان بيت المقدس، بعد أن أبلغتها الملائكة ببشارة السيد المسيح (عليه السلام). ومن أحداث التواريخ القديمة أيضا التي استند إليها بوركهارد ما أشار إليه بشأن النبي يعقوب وابنه يوسف وإخوته، الذين لم يستطيعوا الاستقرار في هذه الأرض (فلسطين) خلال حياتهم، ولكنهم اختاروا أن يدفنوا فيها بعد وفاتهم.^(١٠٩)

وسوف نتحدث عن بعض الآثار والأماكن المقدسة التي أشار إليها بوركهارد في بعض مدن بلاد الشام بصورة حية، فذكر أنه في مدينة صور رأى العديد من الآثار المقدسة للقديسين الشهداء، الذين عانوا كثيرا زمن الإمبراطور دقلديانوس،^(١١٠) كما أشار إلي مدفن القديس أوريجين،^(١١١) الموجود بالمدينة، والحجر الكبير الذي وقف عليه السيد المسيح (عليه السلام)، وهو يعظ تلاميذه، ويتعجب بوركهارد من الرمال التي لم تغط هذا المكان بالرغم من نعومتها.^(١١٢)

ويشير الرحالة بوركهارد بقوله: " يقال أن السيد المسيح وصل لمدينة بيروت، وقد صنع اليهود صنما له من مزيج الصلصال والماء سخرية به،^(١١٣) وقاموا بصلبه وقد أسالوا كثيرا من الدماء هناك " ويؤيده في هذه الرواية الرحالة الروسي دانيال الراهب. كما رأى بوركهارد في



جبل عكار،^(١١٤) بعض المذابح المقدسة، وقبر يوشع (عليه السلام). ذكر أنه رأى كثير من المسلمين يحترمونه ويقومون بزيارته.^(١١٥)

أما في مدينة قادش نفتالي،^(١١٦) فقد تحدث عن أضرحتها وآثارها المقدسة، فأشار إلي جبل الطور (طابور) Tabor^(١١٧) وجبل الجليل^(١١٨) الذي هو محل اعتقاد المسيحيين بأنه الموضع الذي التقى فيه السيد المسيح مع تلاميذه يعظهم ويعلمهم الصلاة وأمور الدين، وشفا فيه مرضاهم، وأوفي فيه بحاجة خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين.^(١١٩)

وثمة موضع آخر يلقي اهتمام المسيحيين، ويشرف علي بحيرة طبرية، أفرده بوركهارد لذكر واقعة ما يعرف عند المسيحيين باسم المائدة^(١٢٠) حسب اعتقادهم. كما أشار أنه رأى في هذا المكان آثاراً لثلاث خطوات من أقدام السيد المسيح (عليه السلام) بارزة " مدموغة " علي حجر.^(١٢١) كما ذكر أنه شاهد قبر النبي أيوب (عليه السلام) والذي يوجد بالقرب من سويتا Suetha،^(١٢٢) وعلي بعد ثلاثة فراسخ (٦٣٢ و١٦ كم) من هذا المكان باتجاه الجنوب تقع دوثنان، والتي أشار بوركهارد أنه بالقرب منها، وجد يوسف (عليه السلام) أخوته، وكذلك رأى الحفرة (البئر) التي وضع فيها بواسطة أخوته ظاهرة للعيان.^(١٢٣) وقد أطلق الرحالة ثيودريش عليه اسم البئر الأحمر.^(١٢٤)

ويواصل بوركهارد وصفه للمدن في إطار الروايات الدينية التي لا يخلوا منها الأناجيل وخصوصاً ما أنطوي منها علي معجزات، من ذلك ما ذكره عن قانا الجليل،^(١٢٥) وقصة قيام السيد المسيح (عليه السلام) بتحويل الماء إلي نبيذ ، حيث ذكر أنه رأى المكان وغرفة المعيشة وبها ستة قدور

فخارية للمياه، فضلاً عن المنضدة التي كانت فيها. ^(١٢٦) ولم يخف في وصفه للمواضع الدينية والمزارات المقدسة، انتماءه الدينى وحماسته تجاه أي تجاوزات قد تصيب هذه المواضع بتلف أو تدمير. فقد ذكر أن هذه المواضع الدينية مثل موضع البشارة والمهد في قانا الجليل، وأماكن أخرى عديدة تظهر تحت الأرض، بحيث ينزل الزائر لها عبر سراديب، ^(١٢٧) مستخدماً سلالم للوصول إليها. ^(١٢٨) والواضح أن مثل هذه التفاصيل الدقيقة لم نر لها مثيلاً عند غيره من أقرانه الرحالة الغربيين أو الشرقيين الذين زاروا الأرض المقدسة.

ويظهر ولعه بخفايا أسرار التقديس عند المسيحيين، فقد أورد بإحكام قصة الروح القدس والتبليغ الملائكي، من قبل الملك جبرائيل في مدينة الناصرة. ^(١٢٩) وقد أولع بوركهارد في وصفه للأماكن والمزارات المقدسة، وذلك أثناء مشاركته الأهالي للأعياد الدينية، في نفس هذه المواضع المقدسة بالناصرية، وإشارته إلى مذابح الكنائس المنحوتة في الصخر، والتي لها قدسية مكان المهد، والقيامة، وحقل الدم. ^(١٣٠)

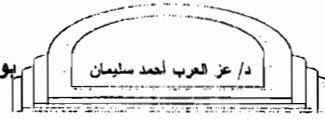
ولم ينس بوركهارد اهتمام مسيحي بلاد الشام بتجميل الأماكن المقدسة وتغطيتها بأنواع جيدة من الرخام رغبة منهم في تخليدها، وكذلك إقامة النصب التذكارية؛ وتُظهر كتاباته في هذا السياق اهتمامات مسيحية، ونذكر علي سبيل المثال الكنيسة التي أقيمت علي أنقاض منزلي القديسة مرثا وسمعان المجزوم، ^(١٣١) في قرية بيثاني (العيزرية) ^(١٣٢) كما أشار أيضاً إلى قبر إلغاز الذي نهض منه، وهو مكان ليس بعيداً عن الكنيسة،



وقد شيدت في هذا المكان كنيسة واسعة، ومغطاة بالرخام الجميل، كما أقسم نصب تذكاري تم تغطيته بالرخام أيضا. حيث دخل بنفسه إلي جوف هذا النصب التذكاري. (١٢٣)

وفي هذا السياق لم يخف بوركهارد انفعالاته، بالجوانب النفسية التي أحاطت بالسيد المسيح عليه السلام في طريق الآلام، حتى أسرف في الجسمانية^(١٢٤)، وسلك الطريق الذي أوصله إلي الجلجثة^(١٢٥) حيث كانت المحنة التي تعرض لها. (١٢٦) وذلك حسب الاعتقاد المتعارف عليه بين المسيحيين. وقد أفاض بوركهارد في ذكر المواضع المقدسة التي شهدت أحداث محنة السيد المسيح (عليه السلام) وخاصة في الجلجثة بشكل يفيد تعمق قراءاته الدينية، وتأثره بتلك الأماكن التي رآها، ونرجح أنه أراد من وراء ذلك جذب واستثارة المسيحيين الغربيين لزيارة تلك المناطق والمزارات المقدسة.

ويظهر اهتمام بوركهارد بالجانب الكنسي من خلال وصفه للعديد من الكنائس والمزارات المقدسة، وسوف أقتصر الحديث هنا علي كنيسة القيامة (القبر المقدس)^(١٢٧)، كما أشار إلي كنيسة الجلجثة^(١٢٨) التي تقع بجوار كنيسة القيامة، كما أشار أيضا إلي الكهف الذي يوجد به قبر السيد المسيح (عليه السلام)^(١٢٩) بكنيسة القيامة، فقد أمدنا بوركهارد من خلالها بتفاصيل دقيقة كافيه للقطع بأهمية مثل هذه الأماكن في نفسه ونفوس المسيحيين ممن تستهويهم هذه الأماكن. كما نلمح من خلال وصفه عبقرية زائدة في طرح دقائق تفصيلية لا تتأني إلا من متخصص في مجال العقيدة.



ومن الجديد الذي أتى به بوركهارد ما أشار إليه من وجود قبر عظيم ضم كثيراً من رفات الأنبياء في مدينة الخليل، حيث يقال أنه دفن فيه آدم وحواء وإبراهيم وسارة واسحق ورفقة يعقوب وليئة (عليهم جميعاً السلام)، ويبدو أنه كان من المعتقدين في صحة ما ورد في كتاباته بهذا الخصوص، فقد ذكر قائلاً: " وقد زرت قبور الأنبياء هناك وأقمت به ليلة واحدة." (١٤٠)

إن المتأمل فيما قدمه بوركهارد من إشارات مفصلة عن الآثار الدينية والمزارات المقدسة في فلسطين، ليشعر بحرصه علي احتواء رحلته لتلك الجوانب الهامة، والتي أسهب في وصف كل صغيرة وكبيرة فيها، ليستفيد منها كل من طالعها، أو أراد الحج إلي الأراضي المقدسة بفلسطين، فضلاً عن دقته ومعاينته لها، وعدم اعتماده علي الآخرين في أمرها، بل ارتكز علي المعاينة والملاحظة الشخصية.

الإشارات الاقتصادية في الرحلة:

من الثابت أن إقامة بوركهارد الطويلة في فلسطين؛ مكنته من المقدرة علي دقة التحديد الجغرافي، وثراء التفاصيل، وكأننا أمام مؤلف معجم جغرافي مفصل للأراضي المقدسة بفلسطين، وهذا نتاج خبرته وتعايشه مع المواقع الجغرافية، بحيث جاءت كتاباته تمثل درجة عالية من النضج، (١٤١) كما أن هذه الرحلة جاءت مختلفة عن سابقتها، نظراً لاهتمامها الأكثر بجوانب أخرى، غير وصف المزارات الدينية المقدسة، ومن بين هذه الجوانب كان الجانب الاقتصادي.

اهتم الرحالة الألماني بوركهارد بالناحية الاقتصادية في بلاد الشام، فقد ركز علي الإشارة إلي وفرة المياه والحاصلات الزراعية بها، والتي قامت عليها الكثير من الصناعات، الأمر الذي أدي إلي ازدهار التجارة بها، سواء كانت تجارة داخلية أو خارجية، وخاصة مع الغرب الأوروبي. كما أشار إلي توزيعات المياه وانتشارها بكثافة في هذه البلاد، وأمدنا بمعلومات وافرة في هذا الصدد، وخاصة الأنهار والبحيرات العذبة والعيون الجارية بها. ^(١٤٢)

كان بوركهارد دقيقاً في وصف مصادر المياه العذبة التي نعمت بها بلاد الشام ، فلم يغفل الحديث عن الأمن المائي نظراً لأهميته الكبيرة بالنسبة للصليبيين الذين نازعوا المسلمين الأرض والمياه أيضاً، ويظهر ذلك بتخصيصه الحديث عن ري الأراضي بمدن صور وجبل لبنان وصيدا وطرطوس. ففي مدينة صور بين أن مناطق الكروم والتين وأشجار الزيتون والمراعي الواسعة محاطة بالمياه الجارية، ^(١٤٣) من الينابيع في شكل جداول دافقة، لها منابعها التي تفيض بالمياه علي جوانبها، لتجري في منحدرات وقنوات عميقة وواسعة يستفيد منها أهالي صور في زراعة الأراضي السهلية والحدائق. ومن أشهر ينابيعها " نبع رأس العين " ^(١٤٤)

أما في – جبل لبنان – ركز بوركهارد علي ذكر ينبوع ماء يجري ليشكل نهر (نهر قادشيا)، ^(١٤٥) ويشير إلي أن هذا الينبوع يخرج من سفح جبل لبنان ثم يدور حول جبل عكار، ^(١٤٦) وكان يسقي الحدائق والسهول الواقعة بين طرابلس ولبنان ^(١٤٧) ،

ومما يجدر ملاحظته فإن لبنان حظيت منذ القدم بأثني عشر نهراً نصفهم يجري في شرقه والنصف الآخر في غربه، ومن أشهرها أنهار: بيروت، والكلب، وإبراهيم، واسطوان، وعرقه، والزبداني، والليطاني وغيرهما.

ولاشك أن الأراضي بمدينتي صيدا وطرطوس قد نالتا نفس الأهمية المائية عند بوركهارد، حيث أفاد بما كان يحيط بهما من سهول وجداول فيضية، أثمرت عن زراعة أشجار الكرمه وبساتين الفواكه، وقصب السكر الجيد، كما أشار إلي وفرة المراعي في طرطوس مما جذب البدو للإقامة فيها. (١٤٨)

أما الثروة النباتية والحيوانية في بلاد الشام والأراضي المقدسة، فتعد إشارات بوركهارد في هذا الشأن من أوفر ما وصل إلينا بهذا الخصوص، فقد عكست دقة ملاحظاته، وبراعة وصفه لكافة ما صادفه ببلاد الشام، بصورة ندر وجودها في مؤلفات الرحالة الأوربيين الذين قدموا إلي المنطقة في تلك الفترة. (١٤٩) فنجده يفاجئنا حقيقة بأنه له خبرة ودراية بأنواع النباتات وأشكالها وموسم زراعتها، ويبدو أنه استقي المعلومات بشأن الفلاحة من فلاحين أو رهبان قاموا بزراعتها، وباعتباره واحداً من الرهبان، ربما يكون قد مارس بالفعل هذا العمل، لذلك جاء وصفه دقيقاً، فقد أشار إلي جودة الكثير من الأراضي الشامية وخصوبتها، بوجه عام وفي الأراضي المقدسة بوجه خاص، ونلاحظ ذلك عندما تحدث عن مدينة

عكا، فذكر أن بها سهلاً خصيباً، وجميع أراضيها ومروجه مستغلة تماماً، ومزروعة بالعنب والحدايق وأنواع مختلفة من أشجار الفواكه. (١٥٠)

كما أشار بوركهارد إلي أن الأراضي المقدسة جادت بالكثير من الأعشاب والنباتات الطبية التي نمت بها وبالذات في المناطق الجبلية، دون أدنى تدخل من قبل المزارعين، ومن هذه النباتات " الزعتر "، ويكثر في سفوح جبال نابلس والجليل، (١٥١) وقد أشار الرحالة الألماني بوركهارد إلي العديد من النباتات والأعشاب الطبية أو العطرية ومن أمثلتها: الشومر، (١٥٢) والمرمية، (١٥٣) والسذاب، (١٥٤) والورود التي تنمو في كل الأراضي المنبسطة التي تلائمها. (١٥٥) ويلاحظ أن الحجاج الأوربيين كانوا حريصين علي شراء مثل تلك الأعشاب والعودة بها إلي الغرب الأوربي للاستفادة منها في الناحية العلاجية.

أما عن بعض المحاصيل التي كان يتم تصنيعها، فقد تناولها بوركهارد بتفصيل دقيق يكشف مدي دقته وبراعته في تناول بعضها، وبالذات تلك المعنية بالصادر من المصنوع. فعندما تحدث عن زراعة القطن، قال: " وينمو القطن في شجيرات ، يبلغ ارتفاعها رتبة الرجل، وتشبه أوراقها أوراق العنب، ولكنها أصغر منها، وينمو فوق هذه الأوراق القرينات". (١٥٦) والي جانب القطن كان الحرير، الذي شكل مع القطن جزءاً من المادة الخام التي تم تصدير جزء منها لغرب أوروبا، والجزء الآخر صنع محلياً (١٥٧).



أما إشاراتُه عن زراعة قصب السكر، فقد أمدنا بوركهارد بطريقة زراعته منذ غمره في الأرض حتى حصاده،^(١٥٨) وذلك بشكل دقيق لا يتأتى إلا من شخص مارس تلك المهنة بالفعل.

ونلمس من خلال الوصف تلك المكانة التي تبوأتها زراعة هذا المحصول بين الأوربيين. ومما يجدر ذكره أن بوركهارد نوه عن هذه المكانة بالإشارة إلي أن اللاتين في الشرق عرفوا زراعة القصب واستخراج السكر منه لأول مرة في بلاد الشام.^(١٥٩)

ثم تعرض في رحلته إلي العديد من أنواع الفاكهة، التي اشتهرت بها بلاد الشام، وخاصة الأرض المقدسة، فقد أشار إلي وجود فاكهة يمكن للمرء أن يتناولها طول العام، ومن أمثلتها البرتقال والليمون والتفاح، ويكثر في الأرض المقدسة التين والرُمان، والخضروات بجميع أنواعها مثل الخيار والقرع وفاكهة أخري عديدة. وقد كرر بوركهارد هذه العبارة في أكثر من موضع، والتي تعطي دلالة علي خصوبة الأراضي الشامية سواء الجبلية منها أو السهلية، والمزروعة بشتى أنواع الفاكهة المشهورة بها بلاد الشام والأراضي المقدسة حتى أيامنا هذه.^(١٦٠) وعلي سبيل المثال لا الحصر، فقد ذكر عن مدينة طبرية قوله: "وتتمو هناك أشجار النخيل الكبيرة وكروم العنب وأشجار الزيتون، كما أن تربتها تميزت بالخصوبة العالية".^(١٦١) أما عن طرابلس، فقد ذكر بوركهارد أنه يمكن أن يطلق علي أراضي مدينة طرابلس اسم الجنة بسبب وجود كروم العنب وأشجار الزيتون الممتدة علي مساحات واسعة فيها، بالإضافة إلي وجود أشجار

التين وقصب السكر، وأكد قوله " إنني لم أر مثلها في أي جزء من العالم ". أما السهول الواسعة والواقعة أمام بوابات المدينة فقد اشتملت علي حدائق يزرع فيها بوفرة مختلف أنواع الفاكهة، ويقال أنها تدر سنوياً ما قيمته ثلاثمائة بيزنط لمالكيها. (١٦٢)

ويوالى بوركهارد اهتمامه بما أسماه الأمن المائى، من خلال تركيزه علي المحاصيل الشامية التي تحتاج إلي مياه أكثر في الري، فإلي جانب عنايته بذكر قصب السكر علي نحو ما أسلفنا، اعتنى أيضاً بذكر فاكهة الموز وطريقة زراعته، مبيناً أهمية المياه في زراعة هذا المحصول، وأمدنا بشرح وافي ودقيق بشكل يعكس الدقة العلمية في وصف شجر الموز وثمره، وطريقة زراعته والتي رآها لأول مرة في بلاد الشام أثناء رحلته. (١٦٣) ونراه يعطي إشارات قيمة علي عدد من المحاصيل التي كان يجري زراعتها مثل البرتقال والتفاح والليمون والتين والزيتون من الفاكهة التي تشتهر بها بلاد الشام. (١٦٤)

أما فيما يتعلق بوصفه لزراعة الكروم؛ فقد أمدنا بأهم النصوص الزراعية بهذا الخصوص في بلاد الشام وفلسطين، نظراً لخصوبة أراضيها ووفرة المياه العذبة الصالحة للري، وهي نصوص بصفة عامة نادرة وقليلة، كما تخلو منها مؤلفات الحوليات الصليبية، فقد قرر جودة زراعة الكروم في المنطقة المحيطة ببيت لحم وفي وادي الصرار (وادي رفائيم)، وكذلك حول صيدا، وفي كافة أنحاء لبنان، وفي طرسوس حيث ذكر أنه يزرع ويحصد ثلاث مرات في العام، كما قدم لنا إشارات دقيقة تعكس

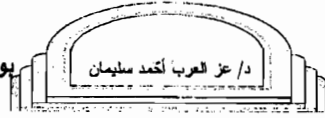
روحه العلمية، حيث أشار من خلال تحديد زمني أن الكروم التي تنمو في مارس يتم حصدها في أغسطس، وتلك التي تنمو في أبريل تحصد في سبتمبر، أما التي تبدأ في النمو في مايو يتم جمعها في أكتوبر، وبالتالي يتم الحصول علي ثلاث غلات من العنب في العام الواحد. وهذا يعكس لنا مدى جودة الأرض، وغزارة ما تغله من محاصيل زراعية وخاصة من الكروم في فلسطين علي نحو خاص وغيرها من مناطق بلاد الشام.^(١٦٥) وتجدر الإشارة إلي أن زراعة الكروم كانت لها أهمية بارزة في اقتصاديات الصليبيين في بلاد الشام نظراً لتصنيعها في صورة النبيذ، وحقق نبيذ الأراضي المقدسة شهرة تجارية كبيرة في الغرب الأوربي، وتم تصديره إلي العديد من الدول هناك.^(١٦٦) وبصفة عامة، تدل أوصاف الرحالة بوركهارد حول الزراعات في فلسطين علي مدى الثراء الذي كانت عليه، الأمر الذي جعلها مطمعا للغزو الصليبي.

ويقدر عنابة بوركهارد بالمحاصيل الزراعية في بلاد الشام والأراضي المقدسة، كان اهتمامه بالصناعات القائمة عليها، وعلي سبيل المثال فقد أسهب في الحديث عن صناعة قصب السكر. فتحدث في إشارات واضحة، عن زراعة قصب السكر في أماكن عديدة ومنها مدينة صور التي حصلت علي عائدات وفيرة من زراعة هذا المحصول، كما أفاد بوجود ستة دواليب أو معاصر - لعصر القصب - ذات أحجام جيدة، لاستخراج السكر والعسل منه في هذه المدينة.^(١٦٧) كما أفاض بوركهارد في شرح وتوضيح طريقة استخراج السكر من القصب، موضحاً جميع القصب

وتقطيعه بشكل طولى، وعصره ، ثم ينزل العصير في وعاء نحاسى مُعد لذلك، ويوضع علي النار حتى يصل إلي درجة التكتاف، ويجمع في سلال مخصصة، وبعد فترة يصبح السكر جافا. وبهذه الطريقة يصنع السكر، وقبل أن يجف يتم ترشيح المادة السائلة منه التي تدعى عسل السكر. (١٦٨) كما أشار بوركهارد إلي استغلال السكان لتدفق المياه، وخاصة من نبع رأس العين القريب من نابلس، حيث استغلها الأهالي في تشغيل طواحين السكر الموجودة عند سفح جبل القرنطل. (١٦٩)

كما أعطانا إشارات عن وجود العسل، كأحد مخرجات صناعة السكر من القصب، وأيضا صناعة الزيت في الأراضي المقدسة، فهو دليل علي وجود هذه الصناعة في هذه المناطق، في المعاصر المعدة لهذا الغرض، ، كما أشار إليها في نقاط متفرقة من وصفه للمدن الشامية والأراضي المقدسة، كما أمدنا بوركهارد بإشارة عن استخراج العسل المأخوذ من النحل، وهو ما يعطينا فكرة علي انتشار هذه الصناعة أيضا في الأراضي المقدسة. (١٧٠)

أما عن الصناعات التي تحدث عنها الرحالة الألمانى، والتي تتوفر في بلاد الشام والأراضي المقدسة، فقد ذكر أنه ينتج في طرابلس كثير من الحرير، وفي ذلك يقول : " فقد سمعت وتأكدت من وجود نساجين للحرير، ويصل عددهم إلي نحو ٤٠٠٠ عامل وأكثر، إلي جانب غزل الصوف والشمطة (١٧١) وأنسجة أخري من نفس النوع ". (١٧٢) وكان إنتاج المدن الشامية من الحرير له سوق رائجة في أوروبا نظرا لجودته، ويذكر أيضاً أن



مدينة صور كانت متخصصة في صناعة أقمشة بيضاء ثمينة تصدر إلي جهات بعيدة، كما كانت الأقمشة الحريرية الخارجة من مصانعها تباع أيضا في الغرب. (١٧٣)

ويلاحظ أن بوركهارد اعتنى بالمؤثرات البيئية الشامية، فربط بين مخرجاتها الصناعية وأهميتها التجارية، فأشار إلي الأقمشة الحريرية الشامية التي

ابتيعت في الغرب الأوربي، كما بين أهمية موقع بلاد الشام علي طريق الحرير Silk Road (١٧٤) (٨٠٠٠ ك.م) والذي امتد من الصين شرقاً حتى الساحل الشامي وأمتد إلي آسيا الصغرى إلي البندقية Venice بإيطاليا، ودخل الحرير علي نطاق واسع في التجارة الدولية في عصر عرف " بعصر الثورة التجارية " Commercial Revolution، (١٧٥) ويلاحظ أن كافة القوي الدولية في العصور الوسطي حرصت علي إخضاع الطريق المذكور أو أطرافه لسيطرتها، كما في حالة الصليبيين والمغول. (١٧٦)

ولعل من أكثر الإشارات وضوحا في كلام بوركهارد عن المخرجات البيئية ما أورده عن صناعة المخللات (١٧٧) التي تميزت بها بلاد الشام عن سائر الأقطار الأخرى في العصور الوسطي. كما أشار إلي زراعة الزيتون والسمسم، حيث أستخدم محصوليهما في استخراج الزيوت، (١٧٨) وصناعة الصابون، الذي اشتهرت به مدينة نابلس علي نحو خاص، حيث برع سكانها في إنتاج أجود أنواعه. (١٧٩)

وإلى جانب الصناعات السابقة، فقد أوجب الحديد عن أثر البيئة الشامية، بذكره تفصيلات عن صناعة النبيذ من كروم العنب المنتشرة في معظم بلاد الشام، فأشار بوركهارد إلي أنه نظراً لوفرة المحصول وجودته، تم الإقبال علي هذه الصناعة، لما تدره من ربح علي المشتغلين بها.

ويعتبر نبيذ الأرض المقدسة من أجود الأنواع وأشهرها، خصوصا في المنطقة المحيطة ببيت لحم، وفي وادي الصرار (وادي رفائيم)، وصيدا، وأرواد البرية (طرطوس)^(١٨٠)، كما أشار إلي شهرة مدينة بترون Botrus بالنبيذ الفاخر^(١٨١)، ويعتبر النبيذ في هذه البلدة أكثر الأشياء جذباً للانتباه.^(١٨٢) ولقد ساهم النبيذ في جانب هام من صادرات مملكة بيت المقدس الصليبية إلي الغرب الأوربي، وحقق شهرة واسعة من خلال جودة إنتاجه، والتي تطرق لها بوركهارد في أكثر من موضع،^(١٨٣) الأمر الذي أدني إلي زيادة الإقبال عليه من المستهلكين الأوروبيين.^(١٨٤)

أما الثروة الحيوانية في بلاد الشام؛ فقد أشار بوركهارد إلي توافر بعض الحيوانات غير المستأنسة في بلاد الشام، مثل الخنازير البرية وإناث الطي، والأرانب البرية، والأسود والدببة، بالإضافة إلي أنواع أخرى من الحيوانات المستأنسة مثل الجمال والجاموس والأغنام وغيرها . لكننا نلاحظ أنه ركز علي الحيوانات التي تخدم العمليات العسكرية مثل الخيول والجمال والبغال، حيث امتطي الفرسان الخيول، واستخدمت الجمال والبغال في نقل الآلات والمعدات الحربية والمؤن والأمتعة، مما عكس أهميتها حينذاك.^(١٨٥) كما استرعي انتباهه تلك الأنواع التي تدخل ضمن المنظومة الغذائية عند الصليبيين مثل الخنازير البرية حيث أشار

إلى وفرتها مع الأرتاب البرية والظباء، وفوق ذلك كله لم ينس أنواعاً أخرى أشار إلى اهتمام الشاميين بتربيتها والاعتناء بها سواء في المناطق الجبلية مثل الأغنام والماعز أو السهلية حيث أشار إلى تربية المواشى والجمال التي تخدم البيئة الزراعية في تلك المنطقة.^(١٨٦) ويلاحظ أن نصوص بوركهارد دعمت كتابات المؤرخ الصليبي فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres عندما تصدى لوصف الثروة الحيوانية في فلسطين،

والأمر المؤكد أن الخيول والجمال كان لها دورها البارز في التنقل وحمل الأمتعة أثناء المعارك، حيث اعتمد عليها الفرسان، ونقلت معدات الجيش الصليبي إلى ساحات المعارك.

لم ينس بوركهارد الأثر البيئى واضح المعالم في تنشيط الحياة البحرية، فامتد حديثه إلى الثروة السمكية مبيناً أثر السواحل البحرية، واختراق الكثير من البحيرات والجداول والأنهار العديدة في المدن الشامية، فقد أمدنا بإشارات هامة عن قري معينة كانت تعيش على هذه الحرفة، فذكر أنه شاهد بالقرب من ساحل بحيرة طبرية بخطوات، في مكان يعرف باسم وريد النيل،^(١٨٧) وجود أسماك تدعى كراكين،^(١٨٨) تفقس وتتكاثر فيه، وأشار بعدم وجود مثلها في مكان آخر.^(١٨٩)

ولا يخفى أثر العقيدة الدينية في نفوس الرحالة الغربيين وبالذات بوركهارد، الذي ربط بين حرفة الصيد وبين ما بينته آيات الكتاب المقدس فيما عرف باسم " المائدة ".^(١٩٠) وقد أشار بوركهارد إلى أشهر المواضع أيضاً في صيد الأسماك، حيث تقع مدينة كفر ناحوم، التي كانت مزدهرة

قديمًا، ولكنها أصبحت من المدن المتواضعة في أيامه، حيث أشار إلي أنها تضم قليلاً من المنازل لصيادي الأسماك الفقراء. (١٩١)

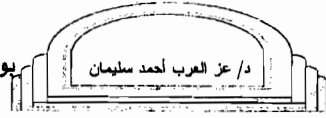
وفي موضع آخر ذكر أن بوابة الخليل في المدينة المقدسة، عرفت بعدة أسماء منها بوابة السمكة (السمك)، وذلك لأن التجار والصياديين الفلسطينيين اعتادوا علي إحضار السمك من المدن الساحلية الفلسطينية إلي بيت المقدس عبر هذه البوابة لبيع في أسواق القدس. (١٩٢)

وقد أفادتنا هذه الإشارات الهامة في تكوين فكرة مكملة للنشاط الاقتصادي في الشام والأراضي المقدسة.

صورة المسلمين في كتابات بوركهارد:

مما لا شك فيه أن بوركهارد بوصفه أحد الرهبان البندكتيين، (١٩٣) فقد اعتني في كتاباته بالجوانب النفسية التي قربت بني جلدته الصليبيين من مسلمي بلاد الشام، فقد أكد علي تغيير النظرة الصليبية بعد الاختلاط المتبادل الذي نشأ بين اللاتين الوافدين والمسلمين أصحاب الأرض، بحيث صار من السهل أن تتحول نظرة الكراهية تجاه كل مسلم إلي وجهة أخرى تتميز بالاجابية. (١٩٤)

لذلك نلاحظ أنه لم ينس أن ينهي حديثه عن بلاد الشام بذكر الخريطة العقائدية للسكان في تلك المنطقة، فأشار إلي استيطان رجال من أجناس مختلفة في الأراضي المقدسة، لكل واحد منهم مذهب خاص به، فتحدث عن السراقنة (المسلمين) (١٩٥)، وأشار إلي أنهم " يتمسكون



بالشريعة الإسلامية، ويطلقون علي السيد المسيح أعظم الأنبياء، ويعتقدون أنه نفخ من عند الله العظيم، وولد من مريم العذراء....

ويفضلون القول بأنه رفع إلي السماء".^(١٩٦) ومن دواعي اعتقاد بوركهارد الشديد في تغيير نظرة الغربيين تجاه المسلمين ببلاد الشام، أنه أشار إليهم بكل تقدير واحترام، بدليل أنه بين ما كانوا يقدمونه من تبجيل واحترام للقديس يوحنا المعمدان^(١٩٧) — سيدنا يحيى عليه السلام — والموجود قبره في مدينة سبسطية،^(١٩٨) فقد أشار إلي أن المسلمين قالوا عنه: " أنه نبي عظيم مقدس".^(١٩٩) كما ذكر أيضا أن المسلمين كانوا يجلسون ويحترمون السيد المسيح (عليه السلام) والعذراء مريم المبجلة.^(٢٠٠)

ولكن يؤخذ عليه خطأه في قوله: " وقد أرسل الله إليهم (المسلمين) محمداً (صلي الله عليه وسلم) فقط.^(٢٠١) باعتبار ان ذلك من النصوص القرآنية التي قرأها بنفسه.^(٢٠٢) وقد جاءت عباراته بصفة عامة معتدلة، وأبعد ما تكون عن العدائية، مما دل علي أنه كان علي معرفة كبيرة بالمسلمين وبعقائدهم ، بعد طول إقامة في الأراضي المقدسة. ومما يفيد تعمقه في علاقاته الطيبة بالمسلمين في بلاد الشام، إشارات علي بعض أحد التشريعات في الإسلام، وهو موضوع الزواج، فيذكر بوركهارد قائلاً: " وبيح لهم الدين الإسلامي تعدد الزوجات"،^(٢٠٣)

ولبيان الرد علي كيفية مطالعته للقرآن الكريم، أفاد البعض،^(٢٠٤) بأن هناك احتمالين لا ثالث لهما، الأول أن يكون قد طالعه من خلال نسخة مكتوبة باللغة العربية من جانب أي من المسلمين الذين تجاوب معهم بحكم المدة التي قضاها في

الأراضى المقدسة، وهو أمر مستبعد على اعتبار أننا لا نعرف مدى إجادته للغة العربية التي تمكنه من قراءة وفهم قمة إعجاز هذه اللغة والمتمثلة في القرآن الكريم. أما الاحتمال الثاني — وهو الأرجح — أن مطالعته للقرآن الكريم كانت من خلال الترجمة اللاتينية للقرآن الكريم والتي تمت في القرن الثاني عشر الميلادي، وبالتحديد سنة ١١٤٣م وبناءً على تكليف من مقدم دير كولوني^(٢٠٥) الأسقف بطرس الموقر Peter The Venerable^(٢٠٦) ويُذكر أن هذا الرجل قام برحلة إلى أسبانيا فيما بين عامي ١١٤١ — ١١٤٣م،

وشكل لجنة لترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، وقد تشكلت هذه اللجنة من كل من: ريمون التطيلي Raymond of Tudela ، والعالم الإنجليزي روبرت الراتيني Robertus Retenensis ،

الذي كان يشغل منصب كبير الشامسة بمدينة مبولونا Pembrona والراهب الألمانى هرمان Herman ، كما كان ضمن هذه اللجنة بطرس التطيلي Peter of Tudel، وهناك من يرجح أن الأخير قام بدور بارز في هذه المهمة، وبعد أن تمت الترجمة أرسلت إلى رئيس دير كولوني، حيث وضعها تحت تصرف كل من يريدونها من القائمين على أعمال التبشير، خاصة من كبار الرهبان ورجال الكنيسة.^(٢٠٧)

ولا نغفل هنا أن هذه الترجمة اللاتينية للقرآن الكريم؛ تعد أقرب إلى التلخيص الموسع منها إلى الترجمة الحرفية، وهي لا تلتزم بالنص من ناحية الدقة والحرفية، كما أنها لا تلتزم بترتيب الجملة في الأصل القرآني، إنما تقوم باستخلاص المعنى العام في أجزاء السورة الواحدة، ثم تقوم

بالتعبير عن ذلك بترتيب خاص من أفكار المترجم. لذلك فإن تلك الإشارات التي وردت في رحلة بوركهارد من جبل صهيون، تعكس لنا حرص بعض الصليبيين في القرن الثالث عشر على معرفة عقائد المسلمين من خلال القرآن الكريم نفسه (المترجم) وليس من خلال شائعات تتردد هنا وهناك.^(٢٠٨) كما أن ذلك يكشف لنا حقيقة هامة أثناء عصر الحروب الصليبية وهي بعدما يزيد عن قرن ونصف من غزؤهم بلاد الشام واستقرارهم بالمنطقة، أصبح لديهم معرفة أفضل بالمسلمين في الشرق، وذلك على عكس ما كان عليه الحال عشية اندلاع الحروب الصليبية.^(٢٠٩)

وعلى أية حال، فقد تحدث بوركهارد عن تعاضم روح التسامح بين المسيحيين والمسلمين في بلاد الشام في ذلك الوقت، فهو يؤكد أن المسلمين كانوا يتفاعلون بعواطفهم مع المسيحيين في الأمور الدينية، مستشهداً بأن المئات من الرهبان والراهبات الذين قدموا لزيارة الأراضي المقدسة، كانوا بحماسة متقدة يقبلون معقل (السيد المسيح) ويجلون البقاع التي سمعوا أنه جلس أو وقف عليها، وكانوا يضربون صدورهم ويكفون، ويشير هنا إلى روح المشاركة الوجدانية والعاطفية لدى المسلمين الذين كانوا يشاهدون الموقف فيقول: "أنهم يحركون عديداً من المسلمين للتأثر والبكاء".^(٢١٠) وبالنهاية يؤكد بوركهارد بإشارات لا تقبل اللبس أن المسلمين من خلال معاشرتهم لهم كانوا "مضيافين جداً وكرماء ولطفاء ممتازين".^(٢١١)

وهي عبارات تتنافى تماماً مع نصوص تاريخية وردت في المصادر الصليبية خاصة تلك التي دونت في أوائل القرن الثاني عشر

الميلادي، حيث كان التعصب الأوربي شديد ضد المسلمين، ولم يتعايش الغزاة معهم حتى تتحسن الصورة المذهبية عنهم. ومع ذلك، علينا ألا نفهم ما أورده بوركهارد في رحلته في هذا الشأن علي أن العداة الشديد بين المسلمين والصليبيين قد خفت حدته، إذ ظلت الذاكرة الجماعية لدي المسلمين تتذكر المذابح التي اقترفها الغزاة الصليبيون، وأبرزها ما حدث في ١٥ يوليو ١٠٩٩م، عندما اقتحموا مدينة بيت المقدس إبان أحداث الحملة الصليبية الأولى .

وبالرغم من كل ما ذكره بوركهارد عن مدي العلاقة الطيبة مع المسلمين في بلاد الشام، إلا أن روحه المتعصبة كانت تظهر بين الفينة والأخرى، وهو أمر متوقع تماماً في عصر الصراع بين عالمي المسيحية والإسلام، فقد انتقد المسلمين في أكثر من موضع، ووصفهم بالهمجية والإهمال، لكن انتقاده كان أقل عنفاً من انتقاده لللاتينيين أنفسهم،^(٢١٢) فنراه في احدي الإشارات يذكر أنه خارج بوابة مدينة صور الشرقية يوجد عمود ساقط (أو مدمر) يقال أنه يحدد معالم الموقع، حيث كان بعض الحجاج المسيحيين يذبحون عليه، علي نحو غادر من قبل المسلمين عند زيارتهم لهذا المزار.^(٢١٣) وهو أمر مستبعد، ويبدو أنه هذا كان جزءاً من الدعاية الصليبية Crusade Propaganda، من أجل حث الغرب الأوربي علي تقديم المساعدة والمساندة المادية والمعنوية للصليبيين في بلاد الشام.

النقد الذاتي للصليبيين من خلال كتابات بوركهارد:

من الثابت أن الرحالة الألماني بوركهارد امتلك روحاً نقدية عالية اتضحت في كتاباته، أو ما يمكن وصفه بالنقد الذاتي للصليبيين، وهو أمر وجدنا ملامحه

تظهر منذ القرن الثاني عشر الميلادي، في صورة كتابات فوشيه الشارترى ووليم الصوري، غير أن هذا النقد تزايد حتى صار واضحاً في أدبيات القرن الثالث عشر الميلادي التاريخية أو الجغرافية. وظهرت ملامحه في كتابات مؤرخي الصليبيين في الشرق، مثل المؤرخ جاك دي فترى Jacques de Vitry ، وأيضاً في بعض الكتابات الغربية، مثل كتابات وليم روتبيف William Rutebeuf، ورالف نجر Ralf Niger. (٢١٤)

ومن الملاحظ أن وصف بوركهارد لصليبي القرن الثالث عشر ببلاد الشام أصبح واقعياً، وذلك بفعل استناده إلي الظروف الموضوعية التي سادت حياة الصليبيين في مملكة عكا آنذاك، ذلك أنه أدرك بنفسه أن العقلية عندهم تحولت إلي عقلية مادية دفعت بهم إلي السعي لجلب المنافع والثروات بدلاً عن المقاصد الروحية؛ وفي هذا السبيل يصف الصليبيين بالأشرار أو اللصوص والزناة؛ ولم يكن ذلك كله إلا بتأثير رهبانيته وتدينه، حتى بلغ به الأمر أنه فقد الأمل في الإصلاح وبناء مجتمع صليبي ينطوي علي الروحانية المطلقة. ونقتبس بعض العبارات التي وردت علي لسانه تقطع بعدم رضاه عن مجتمع عكا الصليبي، وهكذا يذكر في موضع ما نصه: " أن رجالنا اللاتين الذين يأتون من بقاع العالم وبعد إنفاق كل ما احضروه معهم من أموال، يقومون بفعل أسوأ مما كانوا عليه من قبل ". وفي موضع آخر يذكر: " إن الآباء المسيئين ينجبون أولاداً أسوأ منهم، وكذلك الذين ينحدرون من سلالتهم يصبخوا أحفاد أكثر حقارة ورداءة. وفي ثالث يجمل قوله: " واعتبروهم حثالة مجتمعها الغربي. (٢١٥) ويعد هذا النص (٢١٦) من أكثر النصوص صراحة في انتقاد الصليبيين بصورة غير مسبوقة.

وهذا الانتقاد " لللاتينيين" يؤيد ويعزز الكثير من تفاصيل صورة المجتمع في مملكة عكا، التي تبدو واضحة من خلال رسالة بعث بها جيمس الفيتري في سنة ٢١٦م، للسادة الباريسييين (باريس)، يحدد بموجبها أسباب ردائل "اللاتينيين في مملكة عكا"،

الأمر الذي قاده لتبني مدخل نفسي واجتماعي إلي اللاتينيين في عكا، حيث أعتبرهم مجتمع استعماري ضم مجرمين يستحقون عقوبة الموت، واستقروا في الأرض الفلسطينية، لكي يهربوا من العقاب في بلادهم. (٢١٧)

وتفيد إشارات بوركهارد في توضيح النقد الذاتي للصليبيين، وجاء هذا النقد من رجال دين كتبوا مؤلفات تاريخية أو جغرافية، وشعروا بحسهم الديني بتعاطف مظاهر الانحلال والفساد داخل المجتمع الصليبي، وهذا الأمر مثل حقيقة واقعة خلال القرن الثاني من استقرار الغزاة الصليبيين في المنطقة أي في القرن الثالث عشر الميلادي. (٢١٨) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان يهدف من وراء هذا التصريح الخاص ضد "اللاتينيين في مملكة عكا" أكثر من مجرد وصف؛ وتحليل اجتماعي لمجتمع الصليبيين، بل أنه كان انتقاماً من جانب الحجاج المثاليين ضد اللاتيني الدنس " علي حد قول بوركهارد الذي لم يكن لسلوكه أية علاقة بقاعدة الحياة المتوقعة بالأرض المقدسة.

وفي النهاية أراد بوركهارد أن يعلن عن رسالة للغرب الأوربي مفادها انحلال وقرب نهاية المجتمع الصليبي في بلاد الشام إلي حد جعله

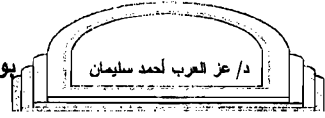


لا يخل من القول : " أن فلسطين التي يسكنها مسيحيون تحت سيطرة وحكم ممالىكى متسامح ويمتّع بالأخلاق ، سيصبح خياراً أفضل من مجتمع دنس، ومقيت مثل مجتمع اللاتينيين. (٢١٩) وتعد هذه إشارات فريدة تعكس الروح الموضوعية التي تمتع بها أحياناً ذلك الرحالة الألمانى.

والأمر الذي لا نستطيع إغفاله؛ أن هذا الجانب في رحلة بوركهارد قد أثري كتابته، وأعطاه تميزاً عن الذين سبقوه في هذا المجال، إذ عني الرحالة السابقون بمجرد وصف الأماكن والمزارات المقدسة، دون التعرض لمثل تلك السلبيات لدى الصليبيين، ولا شك أنها كانت من الانتشار بحيث صارت حينذاك أمراً واقعاً Ipso Facto بصورة دفعته لإبرازها في رحلته ، حتى تشجع قراءه علي زيارة تلك المزارات. (٢٢٠)

الخريطة المذهبية لبلاد الشام :

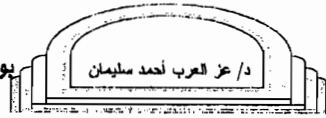
لم ينس بوركهارد أن يتحدث عن باقي الطوائف المذهبية بالشام، خاصة أن تلك المنطقة احتوت علي خليط من العقائد والمذاهب المختلفة التي تعايشت معاً في ذلك العصر، فنلاحظ أنه عندما تحدث عن مدينة طرابلس، ذكر أنها مزدحمة بالسكان، ويقطنها اليونانيون واللاتين والأرمن والموارنة والنساطرة وجماعات أخرى كثيرة. (٢٢١) لكن بوركهارد تبني في معرض حديثه عنهم موقفاً متحرراً ممتدحاً بوجه خاص اليونانيين والأرمينيين لتقواهم وسلوكهم، والنساطرة، ومجموعة أخرى لها أسماء خاصة. (٢٢٢) ولم يخف إعجابه بدورهم الأخلاقي في المشرق خلال العهد



المغولي . أما السوريون، فلم يحتلوا مكانة إعجاب أو تقدير لديه، كما أنه تجاهل العنصر اليهودي في الشام. (٢٢٣)

فقد أشار بوركهارد إلى العديد من هذه الطوائف وتحدث عن طباعهم، وأهم ما يتميزون به، في وصف دقيق، وذلك بهدف اكتمال المنظومة العقائدية في بلاد الشام والأراضي المقدسة، فقد تحدث عن السريان قائلاً: " هم مسيحيون وجميع الأرض مليئة بهم، ولكنهم لا يحتفظون بأي ثقة من اللاتين، ويرتدون ملابس بالية جداً، وهم ضعفاء الأجسام لا يقدمون الصدقات. ويقطن السريان بين المسلمين. وهم يشبهون المسلمين في لباسهم، ويتميزون بوضع الحزام المصنوع من الصوف علي وسطهم. (٢٢٤)

كما تحدث أيضاً عن طائفة اليونان قائلاً: "أنهم من المسيحيين أيضاً، ولكنهم انشقوا، وقد عاد عدد كبير منهم إلى طاعة الكنيسة في المجمع العام، (٢٢٥) الذي عقد برئاسة سيدنا (البابا) جريجوري العاشر (١٢٧١-١٢٧٦م) ". وجميع الأساقفة في الكنيسة اليونانية من الرهبان الموسومين في كلامه بالطهارة والعفة والتقوى والاحترام، وفي ذلك يشير بقوله عنهم: "سوف نحيا في طاعة الكنيسة وتقديسها، وعن طيب خاطر منا." (٢٢٦)



كما أشار أيضا إلى طائفة أخرى تدعى المدينون^(٢٢٧) فى الأرض المقدسة، ويطلق عليهم اسم البدو التركمان، ولاحظ تقاليدهم البدوية، وعنايتهم بالماشية والجمال والأغنام وولعهم بالقتال والمعارك، وذلك دون أن يعلل ظاهرة تجردهم من المساكن إلى حيث واقعهم البدوي الذى يرغمهم على الحياة فى الخيام ، وكان جزءا كبيرا منهم يقىم حول نهر الأردن، وفى المنطقة الممتدة من لبنان حتى برية باران.^(٢٢٨)

ويلاحظ أن الصليبيين حرصوا على أن يضمّنوا ولاء عناصر البدو القاطنة على الحدود بين فلسطين ومصر، وكذلك بين الأردن وبلاد الحجاز، ونجحوا أحيانا فى هذا الهدف، ومن أمثلة ذلك حملة الفارس الفرنسى أرناط صاحب الكرك على الحجاز سنة ١١٨٣م، حيث دله عدد من البدو على الطريق المؤدى للحجاز.

وأخيرا تحدث عن إحدى الطوائف الشيعية فى المنطقة والتي تعيش خلف مدينة طرابلس، وبالقرب من حصن الأكراد يسكن مسلمون يطلق عليهم اسم النصيرية،^(٢٢٩)

ويجاورهم مسلمون يدعون بالحشاشين، ويقطنون فى الجبال خلف أرواد البرية (طرطوس) قرب قلعة المرقب، ولديهم العديد من القلاع

والمدن وأرض خصبة جداً، (٢٣٠) وقد أعطانا إشارات عن طريقة اختيار شيخ الجبل الكبير فيقول: " لا يتولى الشيخ أمرهم بسبب تقدمه في السن، أو عن طريق وراثته للمنصب، وإنما يتم اختياره حسب جدارته الشخصية ومكانته بين أتباعه" . ويذكر بوركهارد إن هؤلاء الناس من أصل فارسي. ويصفهم بالطاعة حتى الموت. ولم يتمكن أي من السلاطين — يقصد سلاطين دولة المماليك في مصر والشام — بعد ذلك من قهرهم أو إخضاعهم، ولكنهم سنوا قوانينهم وعاداتهم الخاصة واتبعوها باختيارهم، وهم يربون جميع المواطنين الذي يقطنون بالقرب منهم، بسبب العنف والصرامة التي يتصفون بها. (٢٣١) ويلاحظ أن تلك الإشارة مجافية للواقع التاريخي إذ أن السلطان الظاهر بيبرس تمكن باقتدار من تقليد أظافرهم وأخضعهم لسيطرته.

وقصارى القول فإن رحلة بوركهارد للأرض المقدسة انطلقت بوصف عام ينبثق عن تأثيرات بيئية توضح مزايا هذه الأماكن، نذكر منها عامل التقديس الذي ظهر جلياً من خلال كتاباته، والعامل الاقتصادي الذي أوضحه لنا وبرر ازدهاره بوفرة المياه وخصوبة التربة ، فازدهرت الزراعات وتوعت المحصولات ونشطت الحرف وبعض الصناعات، كما تعاظمت المسألة التجارية في داخل بلاد الشام وخارجها.

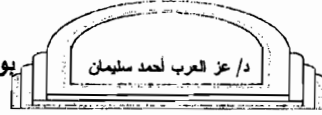
خاتمة:

خلص البحث بصفة عامة إلى عدة نتائج يمكن إجمالها على النحو التالى:

أولاً: تعد رحلة الرحالة الألمانى بوركهارد من جبل صهيون على جانب كبير من الأهمية نظراً لتنوع معلوماتها، وعدم اقتصارها على الجانب الدينى الخاص بالمزارات المقدسة لدى الحجاج الأوربيين الذين وفدوا على مملكة الصليبيين ، وهو الأمر الذى افتقدته معظم الرحلات السابقة لهذه الرحلة.

ثانياً: كما لاحظنا تميز ذلك الرحالة بغزارة التفاصيل عن الأحوال الاجتماعية، وخاصة حديثه عن الآخر أي - المسلم - فى رحلته، فتناوله من جوانب مختلفة خاصة الجانب العقائدى، وبالتالى سلط الأضواء الكاشفة على الخريطة العقائدية لبلاد الشام عصر الحروب الصليبية.

ثالثاً: إن ذلك الرحالة يعد مرحلة متطورة لرحلات الرحالة الألمانى التى اتجهت إلى الأراضى المقدسة فى فلسطين عصر الحروب الصليبية، ونذكر فى هذا الصدد كل من يوحنا الورزبرجى John of Wurzburg وثيرودريش Theoderich ، وبصفة عامة معظم الرحالة الذين زاروا الأراضى المقدسة من جميع الجنسيات، وإن امتاز عليهم بطول إقامته فى فلسطين، فصار بها وبدروبها خبيراً.



رابعاً: أكدت صفحات البحث السابقة علي حقيقة مفادها أن الرحلة تعد مصدراً علي جانب كبير من الأهمية، حيث يصف الرحالة أموراً لا تحتويها المصادر التاريخية التقليدية مثل كتب الحوليات *Chronicles* ، وإذا أخذ البعض علي الرحالة أنهم أحياناً يسجلون رحلاتهم من خلال مدة زمنية قصيرة، أي تسجيلهم لانطباعات سريعة، إلا أن ذلك المأخذ لا يتوافر هنا نظراً لإقامة الرحالة بوركهارد مدة طويلة في بلاد الشام زادت عن العشر سنوات، وبالتالي قدم لنا رؤية صادقة من داخل الجانب والمجتمع الصليبي ، عجزت عن تقديمها المصادر التاريخية المعروفة.

ذلك عرض عن بلاد الشام في كتابات الرحالة الألماني بوركهارد من دير جبل صهيون، وأتمنى أن أكون وفقت في هذا العرض.

والله تعالي ولي التوفيق،

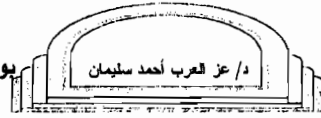
الباحث

حواشى البحث:

(1) بوركهارد Burchard أو بروكاردوس Brocardus أو بروخارد كلها أسماء للرحالة الألمانى صاحب هذه الرحلة، وكان أشهرها بوركهارد / بورشارد ، وقد اقترن اسمه بجبل صهيون بسبب الإقامة الطويلة على هذا الجبل، والتي زادت عن عشر سنوات. انظر بورشارد من جبل صهيون: وصف الأرض المقدسة، ت سعيد عبد الله البيشاوى، ط١ (عمان، ١٩٩٥م) ، ص ١١.

(2) جبل صهيون: يقع جنوب المدينة المقدسة ، وأقيمت عليه عدة كنائس وأديرة . انظر: John of Wurzburg: Description of the Holy Land .Tran. by Stewart A (London 1890),P.5 ، في حين يذكر الدكتور سعيد البيشاوى أن هذه الأديرة والكنائس أنها كانت تقوم بمنح بعض الهبات والميخ للمؤسسات المسيحية التي تحتاج للمساعدة. انظر: الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، ط.١ (الإسكندرية، ١٩٩٠م)، ص ٣٠٦.

(3) طائفة الدومنيكان: نسبة إلى مؤسسها القديس الأسباني دومنيك (١١٧٠-١٢٢١م) في سنة ١٢١٥م، وقد لعبت دوراً هاماً في جنوب فرنسا وشمال أسبانيا، وظهرت هذه الحركة من أجل الوعظ والإرشاد والتبشير، وضرب المثل الحي في التقوي والورع والزهد في الدنيا ، ومكافحة تيار الهرطقة الذي ظهر بالكنيسة وخارجها أواخر القرن الثاني عشر، وأوائل القرن الثالث. انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى، الجزء الثاني، النظم والحضارة (القاهرة، ١٩٥٩م) ص ٤١-٤٢، جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، دار المعرفة



الجامعية (إسكندرية، ١٩٨٨م)، ص ١٧٦، محمد محمد مرسي الشيخ: النظم والحضارة الأوربية في العصور الوسطى (إسكندرية، ١٩٩٦م)، ص ٢١٩.

(4) هي مدينة تقع على نهر ايلب على بعد مائة وتسعة وعشرين كيلو متراً جنوب غرب مدينة برلين، وتشتهر بزراعة الشمندر الذي يستخرج منه السكر، وفيها أيضاً معامل تكرير السكر، كما تشتهر أيضاً بصناعة الآلات والورق والنسيج والمواد الكيماوية والزجاج. أنظر بورشارد من جبل صهيون: وصف الأرض المقدسة، ص ١٦، حاشية (٢).

(5) أنظر Aryeh Grabois: " Christian Pilgrims in the Thirteenth century and the Latin Kingdom of Jerusalem: Burchard of Mount Sion. In Joshua Prawer: Outremer, studies in the history of Crusading kingdom of Jerusalem.

(Jerusalem, 1982) P.287

(6) نقولا زيادة: رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، طبعة بيروت، ١٩٨٦م، ص ١١٣-١١٤، محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية، دراسات في التاريخ المقارن، ط ١ (القاهرة، ٢٠١٠م)، ص ٢١٠.

(7) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية، دراسات في التاريخ المقارن، ص ٢١٠.

(8) هو رئيس أساقفة عكا، ولد في مدينة فترى عام ١١٧٠م، وكان من الداعين لشن الحملة الصليبية الخامسة على مصر، وترك لنا رسائله، وكذلك كتاب تاريخ بيت المقدس، وتوفي سنة ١٢٤٠م. انظر جاك دي فترى عن لغتها اللاتينية: دراسة وثائقية

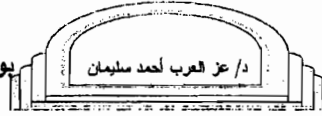
فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ١٢٠٠-١٢٤٠م.ت. عبد اللطيف عبد الهادى السيد، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ص٧:ص١٤، عبد اللطيف عبد الهادى السيد: دراسة نقدية لمنهج الكتابة التاريخية عند جاك دي فترى، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تحرير محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة، (٢٠٠٣م)، ص١٦٥، ص١٩١.

(٩) يتضح ذلك عندما وصف زيارته لجبل جيلبوا Mount Gilboa فقد قرأ فى الأنجيل ان لعنة الملك داوود على هذا المكان، جعلته جديبا من المطر، لكن الخبرة الشخصية لبوركهارد جعلته يكتب أن هذا: "ليس صحيحاً" فأنشاء زيارته لهذا المكان فى عيد القديس مارتن الموافق يوم ١١ نوفمبر، أمطرت السماء وأصبح "مبتلاً للغاية"، لكن هذا الاتجاه النقدي لم يؤثر على إيمانه على الإطلاق. أنظر: Aryeh Grabois .Op.Cit., P.289

Ibid. PP. 288-289 (10)

(11) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية، دراسات فى التاريخ المقارن، ٢١٠.

(12) ذكر بوركهارد أن سبب وجود هذه المشاهد المقدسة والمقابر فى سراديب، نتيجة لأعمال الهدم والتدمير، لكثرة الحروب التى دارت بين المسلمين والصليبيين فى تلك الفترة، هذا الأمر أدى إلى طمر هذه المشاهد المقدسة تحت الأرض. ولكن الحجاج الذين كانوا يودون زيارة هذه الأماكن، ويرغبون فى الوصول إليها كان عليهم رفع الأنقاض وإقامة السلالم للوصول إليها، ولذلك وجدت هذه الأماكن فى سراديب. وهذا تفسيره لما ذكره أن هذا العمل سبق علم الآثار بمئات السنين. للمزيد أنظر:



.Aryeh Grabois: "Christian Pilgrims in the Thirteenth century. .P.291.

(13) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية، دراسات فى التاريخ المقارن، ص ٢١٠.

(14) Ibid., P.289.

(15) من المعروف أن السلطان الظاهر بيبرس (١٢٦٠ - ١٢٧٧م) قاد عدة حملات

حربية بغية اقتلاع بقايا الصليبيين من بلاد الشام ، وتمكن من تحرير العديد من المدن والقرى الشامىة من قبضتهم. أنظر سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك فى مصر

والشام، طبعة ١، دار النهضة العربية (القاهرة، ١٩٦٣) ص ٢٣-٢٣٣. ، كما أن

السلطان المنصور قلاوون (١٢٧٩-١٢٩٠م) الذى عاصر بوركهارد تمكن أيضاً من

استعادة العديد من المواقع الأخرى، كان أهمها فتح طرابلس ١٢٨٩م. وبعد وفاة السلطان

قلاوون سنة ١٢٩٠م تمكن ابنه الأشرف خليل (١٢٩٠ - ١٢٩٣ م) من القضاء على

بقايا الوجود الصليبي فى بلاد الشام، باستعادة مدينة عكا سنة ١٢٩١م) أنظر : سعيد

عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ط٤. (القاهرة، ١٩٨٦) ص ٩٣٥-٩٣٦، سعيد

عاشور: الأيوبيون والمماليك، ص ٢٥٦-٢٦٠ .

(16) Aryeh Grabois: Op.Cit. P.288.

(17) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٣٨، محمد مؤنس عوض: الرحالة

الأوروبيون فى العصور الوسطى، ط الأولى (العين للدراسات والبحوث

الإنسانية، (القاهرة، ٢٠٠٤) ص ٨١، ٨٢ .

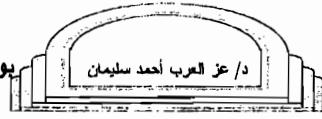
(18) Aryeh Grabois: "Christian Pilgrims in the Thirteenth century. PP.286-

Ibid.,286 (19)

(20) المقصود هنا سورية الكبرى أو بلاد الشام سورية ولبنان والأردن وفلسطين، وقد قسم بوركهارد سوريا إلى عدة أقسام وأطلق علي كل قسم اسم سورية ، مع إعطاء صفة لكل قسم من هذه الأقسام، فعلى سبيل المثال فقد أطلق علي القسم الواقع بين نهري دجلة والفرات اسم (سوريا ما بين النهرين). أما القسم الثاني من سورية فقد أطلق عليه اسم (سورية البقاع)، والقسم الثالث أطلق عليه اسم (سورية الفينيقية)، ودعا القسم الرابع باسم (سوريا دمشق) أو سوريا لبنان، وأطلق علي القسم الخامس اسم (فلسطين) وقسمه أيضا إلى عدة أقسام. انظر بورشارد: المصدر السابق، تعليق المترجم، ص ٣٢، حاشية (٦) .

(21) قسم بوركهارد الأراضي المقدسة إلى فلسطين الأولي: هي الولاية التي اتخذت من بيت المقدس عاصمة لها. أما فلسطين الثانية: والتي أخذت من مدينة قيسارية، عاصمة لها. أما فلسطين الثالثة: وقد اتخذت من مدينة بيسان، عاصمة لها. انظر: بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٣٥-٣٦.

(22) قيسارية Caesarea، هي مدينة ساحلية فلسطينية تقع بالقرب من أرسوف، ويلاحظ أن هناك مدينتين تحملان نفس الاسم الأولي في فلسطين والثانية في كبادوكيا Cappadocia بأسيا الصغرى Asia Minor. عنها انظر حسن عبد الوهاب: تاريخ قيسارية الشام في التاريخ الإسلامى، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ١٧-٢٠.



(23) قيسارية Caesarea، هي مدينة ساحلية فلسطينية تقع بالقرب من أرسوف، ويلاحظ أن هناك مدينتين تحملان نفس الاسم الأولي في فلسطين والثانية في كبادوكيا Cappadocia بأسيا الصغرى Asia Minor.

عنها انظر حسن عبد الوهاب: تاريخ قيسارية الشام في التاريخ الإسلامي، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ١٧-٢٠. ، وكان يدخل ضمن حدود العاصمة الأولى نابلس وبيت المقدس والخليل والسهل الساحلي حتى رفح. انظر: بورشارد: المصدر السابق، ص ٣٦، حاشية (١).

(24) بيسان: هي مدينة بالأردن بالغور الشامي، يقال هي لسان الأرض، وهي بين حوران وفلسطين، وبها عين الفلوس يقال أنها من الجنة، وتوصف بكثرة النخيل. انظر: يساقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٧.

(25) شملت العاصمة الثانية الخليل، وأم قيس وقلعة الحصن وطبرية. انظر: بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٣٦، حاشية (١).

(26) اشتملت العاصمة الثالثة على مناطق ساحل فلسطين الجنوبي والنقب والمنطقة الجنوبية من الأردن الحالي. انظر: بورشارد: نفس المصدر والصفحة، حاشية (١).

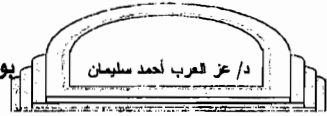
(27) ذكر بوركهارد أن هذه المعلومات استقاها من كتاب جاك دي فثري، الذي اعتمد بدوره على المؤرخ وليم الصوري في حديثه عن هذه النقطة. انظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٣٦، حاشية (١).

(28) عكا: تقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، إلى الجنوب من صور، على شكل شبه جزيرة، يحدها البحر من الجنوب والغرب، وكانت المدينة مشيدة فوق مرتفع من

الأرض خشية لأن تغرقها مياه السيول، وكانت تطل من جهة البر على سهل فسيح غني بمنتجاته الزراعية، يحmie عدد من التلال المرتفعة من الشمال والشرق والجنوب، ومدخل الميناء محمي بسلسلة تغلق وتفتح، والمدينة محاطة بسور ضخ من جهتي الشرق والشمال، وكان له عدة أبواب كل منها محاط ببرجين. لمزيد من التفاصيل عن موقع عكا وتحصيناتها انظر: ناصر خسرو: سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، (١٩٩٣م)، ص ٦١. كما ذكر ابن جبير بأنها قاعدة مدن الإفرنج بالشام، وشوارعها تغص بالزحام وتضيق فيها مواطئ الأقدام. انظر: رحلة ابن جبير، (بيروت، ١٩٨٠م)، ص ٢٧٦.

(29) . Aryeh Grabois: Op.Cit.,P.289

(30) الداوية Tempars : تأسست هذه الجماعة في سنة ١١١٩م علي يد هيو دي باين Hugh de Payen، وكان عدد فرسانها عند التأسيس ثمانية فرسان، عرفوا باسم الرفقاء جنود المسيح الفقراء" وذلك بهدف حماية الحجاج أثناء زيارتهم للأراضي المقدسة، وقد منحهم الملك الصليبي بلدوين الثاني سكناً بالقرب من معبد سليمان، فأطلق عليهم فرسان المعبد، وقد اقساموا يمين الرهينة وكذلك يميناً للقتال دفاعاً عن الحجاج والأراضي المقدسة. انظر: عمر كمال توفيق: مملكة بيت المقدس الصليبية (أسكندرية، ١٩٥٨م)، ص ١٠٤-١٠٥، نبيلة إبراهيم مقامي: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، طبعة جامعة القاهرة (القاهرة، ١٩٩٤م)، ص ٩: ١٦، إبراهيم خميس: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية) ط. (الإسكندرية، ٢٠٠٢م)، ص ٢٧- ص ٣٧٦.



(31) الاسبتارية Hospitallers: تأسست هذه الجماعة سنة ١٠٩٩م، وقد أهتم هؤلاء الفرسان فى بادى الأمر بأمر فقراء الحجاج، ثم حذوا حذو الفرسان الداوية، وأصبحوا جماعة عسكرية، وكان من أهم قوانينها "إن القتال فى سبيل الرب يعد نشاطاً خيرياً مكملاً للمهمة الأساسية الأخوية، حيث كانت امتداداً لرعاية الفقراء.

لذلك فقد استحوذوا كثيراً على الثروات فى بلاد كثيرة. انظر: **Hume, Medical Work of:** the knights Hospitallers of Saint John of Jerusalem ,Institute of the History of Medicine of the John Hopkins University,

Baltimore(1940).PP.14-20. ، جوناثان ريلى سميث: الاسبتارية، فرسان القديس يوحنا

فى بيت المقدس وقبرص، (١٠٥٠-١٣١٠م) ترجمة صبحى الجابى (دمشق، ١٩٨٤م) ص ٥٨-٦٢،

نبيلة إبراهيم مقامى: فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام، ص ١٦-٢١.

(32) لمعرفة المزيد عن هذه الجماعات انظر: ستيفن رانسيمن: تاريخ الحملات

الصليبية، ج ٢، ترجمة نور الدين خليل، (القاهرة، ١٩٩٧م) ص ١٨٨-١٩٠، عمر كمال

توفيق: مملكة بيت المقدس الصليبية، ص ١٠٣-١٠٦، جوزيف نسيم يوسف: المرجع

السابق، ص ١٧٦، حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون فى الأراضى

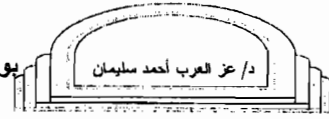
المقدسة، حوالى ١١٩٠-١٢٩١م/٥٨٦-٦٩٠هـ، ط. (الإسكندرية، ١٩٩٠م)، ص ٧٦.

(33) جونثان ريلى سميث: الاسبتارية، ص ٧٩-٨٠ .

(34) بورشارد: وصف الأراضى المقدسة، ص ٣٩-٤٠ .

(35) وذلك نظراً لوجود ميناء مزدوج ترسو سفن المدينة فى الميناء الداخلى، بينما ترسو

سفن الأجانب فى الميناء الخارجى. انظر: ثيودريش: وصف الأماكن المقدسة فى



فلسطين، ت. سعيد عبد الله البيشاوي، رياض شاهين، ط الشروق - عمان (٢٠٠٣م) ص ١٤٧، ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٤، ص ١٤٣-١٤٤.

(36) سفر حزقيال: آيات: ٢٧: ٢، ٣، ٤، ٨، ٣٢، ٣٨.

(37) أما الرحالة ثيودريش فقد ذكر أنها تبعد عن صرفند بنحو ثمانية أميال، وتتفوق علي المدن المجاورة بقوة أبراجها وأسوارها وهي علي هيئة جزيرة محاطة بالبحر من ثلاث جهات والجهة الرابعة محصنة بالخنادق والحصون والأسوار، وقد شبهها بمدينة عكا في التميز نظراً لوجود ميناء مزدوج ترسو فيه السفن. أنظر: المصدر السابق، ص ١٤٧.

(38) يذكر بوركهارد أن عدد هذه الأسوار باثني عشرة برجاً قوياً، لم أر أبراجاً أفضل منها في أي جزء من العالم. وتعتبر القلعة المجاورة لبعض هذه الأبراج قوية ورائعة فهي واقعة علي صخرة داخل مياه البحر وبنفس الطريقة فهي محاطة بالأبراج والمباني الفخمة الحصينة، ولا يتوقع للعالم جميعه أن يستولي علي هذه المدينة بأساليب الحرب القديمة. أنظر: وصف الأرض المقدسة، ص ٤٣-٤٤، ثيودريش: وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ص ١٤٧، ويشير الرحالة ابن جبير أن صور مدينة محصنة بشكل طبيعي، وأن أهلها يمتازون باللين والكرم، انظر: رحلة ابن جبير، ص ٢٧٧-٢٧٨. وانظر

John of Wurzburg: Op. Cit., P.64.

(39) بنيامين التطيلي: جاء إلي الشرق من مدينة طليطلة Tudela الاسبانية، وتجول في العديد من من المناطق في أوروبا وآسيا وأفريقية، ثم عاد إلي اسبانيا سنة ١١٧٣م،

ويذكر عند أنه زار مئات المواقع في كافة أنحاء العالم القديم فيما يقرب من خمسة عشر عاماً. انظر: محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى، ص ٣٩.

(40) الرحالة الألماني ثيودريش Theoderich والذي زار بلاد الشام في الفترة من ١١٧١-١١٧٣م، وكتب رحلته التي احتوت على العديد من الزوايا المهمة عن الأوضاع في بلاد الشام خلال القرن الثاني عشر الميلادي، والتي يمكن أن ندرك من خلالها تمتعه بقوة الملاحظة، فقد اهتمت رحلته بإبراز إشارات مهمة عن الهيئات الدينية والحربية ببلاد الشام، والعمائر الحربية الصليبية أيضاً، أنظر: محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى، ص ٤٩-٥٠.

(41) هو أحد الرحالة الألمان الذين زاروا الأراضي المقدسة في القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري، ولا توجد معلومات مؤكدة عنه سوى ما أخبرنا عنها يوحنا من خلال رحلته، وقد ذكر أنه كان قسيساً في كنيسة فورزبوغ، وهذه المدينة تقع إلى الشمال من مقاطعة بافاريا Bavaria على نهر المين Main وهي عاصمة فرانكونيا السفلى، وتبعد نحو اثنين وستين ميلاً من مدينة فرانكفورت، أنظر محمد مؤنس: نفسه، ص ٢٩.

(42) وليم الصوري: ولد حوالي سنة ١١٣٠، وتولى رئاسة أساقفة مدينة صور سنة ١١٧٥م، انصرف في الشطر الأخير من حياته طلباً للعلم سواء في مملكة بيت المقدس اللاتينية أو في فرنسا أو إيطاليا، منكباً على الدراسات الدينية ثم أصبح مشرفاً على ديوان الرسائل في مملكة بيت المقدس، ثم سفيراً للملك عموري لبيزنطة، ومستشاراً لمملكة بيت المقدس، ومات وهو يتطلع في حيرة لأن يكون بطريكاً لبيت المقدس،



ومات حوالي ١١٨٥م. أنظر : وليم الصوري: الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، ج١، ط الهيئة العامة للكتاب، (١٩٩١م)، مقدمة المترجم ص ١٠ وما بعدها.
(43) رأس العين: أو نبع رأس العين، وهو يقع خارج حدود مدينة صور، ولكنه يكون قريبا منها من الناحية الجنوبية للمدينة، انظر الترجمة العربية لرحلة بورشارد، ص ٤٢، حاشية (١).

(44) نفس المصدر، ص ٤٢.

(45) لم يوضح الرحالة أهمية الأشكال الهرمية في عملية سحب المياه، ويعتقد أن هذا الأسلوب في نقل المياه كان من أجل الحد من سرعة المياه المتدفقة إلى المدينة، وربما يساعد هذا الأسلوب علي وصول المياه باردة إلى المنازل. بورشارد: المصدر السابق، ص ٤٣، حاشية (٤).

(46) بورشارد: نفس المصدر، ص ٤٣-٤٤ .

(47) للمزيد عن تصدير السلع الشامية من ميناء صور للغرب الأوربي. انظر: وليم الصوري:

الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٣، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة

الأقاليم، ط٢، (لیدن، ١٩٠٩م، ص ١٨٠؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق

الأفاق، (روما، ١٩٧٦م)، ص ٣٦٦. In **Robbert, (L.B): Venice and the Crusades".**

Setton: History of the Crusades, Vol.V, (Winsconsin, 1985) P.402,

Thompson, (J.W): Economic and Social History of the middle ages (300 –

1300) , Vol, I, (New York, 1949), P.405, Smith (J. R.) : The Feudal Nobility

and the Kingdom of Jerusalem (1174 – 1277), (London, 1974), P.62.



(48) عن تجارة الترانزيت ودور المدن الشامىة فيها. انظر: **Byren, (E.H.): Genoese Trade**

with Syria in the Twelfth Century, In, A.H.R. Vol. XXV, (1920), P.218,

وانظر أيضا : هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج١، ص١٨٥، ١٨٨.

(49) الفرسخ: يساوي ثلاثة أميال أي ما يعادل ٥٥٤٤ مترا، وهذه المسافة كان يقطعها الرحالة ماشيا على الأقدام، وهناك فرسخ وصفه بوركهارد بأنه كان فرسخاً قصيراً، والمقصود هنا الفرسخ الذي كان يقطعه الإنسان راكبا على ظهر حصانه، وقد ذكر بوركهارد في بداية رحلته أنه سار ماشياً على الأقدام في جميع أنحاء الأرض المقدسة، مما يفيد أن الفرسخ الذي ذكره يساوي ثلاثة أميال للسانر علي قديمه. انظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص٣٤، حاشية (٣).

(50) صرفند الصيداوية: ذكرها بوركهارد باسم صارببتا Sarepta وتقع شمال مدينة صور،

ويبدو من اسمها أنها كانت تتبع صيدا، ويعتقد أيضا أنها حملت اسم صرفند الصيداوية تميزا لها

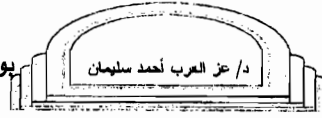
عن أماكن أخرى في بلاد الشام حملت نفس الاسم. أنظر **John of Wurzburg:**

Description of the Holy Land. P.63-64، ثيودريش: وصف الأماكن المقدسة في

فلسطين، ص١٤٦..

(51) استخدم بوركهارد مصطلح ولاية فينيقيا وهو مصطلح قديم، ولقد اضطرتت إلي التعامل به علي اعتبار أن بوركهارد هو صاحب الرحلة، وإن كنت من غير المؤيدين لاستخدام هذا المصطلح في زمن الرحلة المعنية أي القرن الثالث عشر الميلادي.

(52) تقع مدينة صيدا علي مسافة تبعد عن بيروت جنوبا بنحو ٤٥ كم، وعن صور شمالا بنحو ٤٠ كم في سهل ساحلي شديد الخصوبة وافر المياه، ولكنه ضيق ينحصر بين السفوح الغربية لجبال لبنان الجنوبية والبحر المتوسط، يصل لما يقرب من ميلين، وتقوم



مدينة صيدا الحديثة على نفس الموضع تقريبا والذي كانت تشغله المدينة القديمة.
انظر: السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى، ط١، مكتبة
شباب الجامعة (إسكندرية)، ١٩٨٦م، ص٩.

(53) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص٤٨. وقد ذكرت فى معجم البلدان بأنها مدينة
على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق، شرقي صور بينهما ستة فراسخ، انظر :
معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٧. وعن طبوغرافية صيدا التاريخية انظر السيد عبد العزيز
سالم: المرجع السابق، ص١٩: ٢٢.

(54) نهر الكلب: هو نهر لبنانى يتميز بغزارة مياهه، يبلغ طوله نحو ١٩ ميل (٣٠ كم) وينبع من
الجهة الغربية لسلسلة جبال لبنان ويصب مياهه فى البحر المتوسط. انظر: Wikipedia.org.
(55) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٤٩-٥٠. أما بإقوت الحموي فقد ذكر عنها
أنها مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام، تعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيدا
ثلاثة فراسخ، انظر معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٥.

(56) أشار بوركهارد على بعض الطوائف الدينية المسيحية التي كانت تستقر فى مدينة
طرابلس بينما لم يشر إلى بقية الطوائف، واكتفى بالإشارة إلى وجود جماعات أخرى
كانت تقيم فى المدينة، واعتقد أنه لم يكن موقفا فى وصفه، لأنه قسم السكان حسب
طوائفهم واعتقاداتهم، وكان الأجدر به أن يصنف السكان حسب أجناسهم، كأن يقول
ويقطن المدينة أجناسا من العرب والعجم والبربر وغيرهم أنظر، تعليق المترجم،
حاشية (٢)، ص ٥١.

- (57) البيزنط: عملة ذهبية سميت بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة وكانت هذه العملة متداولة في العصور الوسطى حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى، والبيزنط يعادل نحو ثلاثة جرامات ونصف من الذهب الخالص، انظر: يعقوب الفترى: تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوى، دار الشروق (عمان، ١٩٩٨م)، ص ١١٠، حاشية (٢)، ستيفن رانسيما: الحضارة البيزنطية، ت. عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة ١٩٦١)، ص ٢١١، سعيد البيشاوى: الممتلكات الكنسية، ص ١١٨-١١٩، حاشية (٤).
- (58) بورشارد: وصف الأراضى المقدسة، ص ٥١.
- (59) طرطوس: بلده من سواحل بحر الشام وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الشامية، وهي أول أعمال طرابلس، مطلة على البحر شرقى عرقه وبينهما ثمانية فراسخ، ولها قلعتان وفتحها عبادة بن الصامت سنة ١٧هـ. انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٧٠.
- (60) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٥٤.
- (61) بورشارد: نفسه، ص ٦٠-٦١.
- (62) كفر ناحوم: تبعد عن طبرية نحو خمسة عشر كيلومتر باتجاه الشمال الشرقى، كما تبعد نحو أربعة كيلومترات عن مصب نهر الأردن ببحيرة طبرية، وقد كانت مركز لجباية الأموال في العصر الرومانى. انظر مصطفى مراد الدباغ: المرجع السابق، ج ٦، ق ٢، ص ٣٥٩.
- (63) بورشارد: وصف الأراضى المقدسة، ص ٧٢.



(64) مدينة قيدار: تقع فى جمالة (الحصن) الواقعة شرق بحر الجليل ولعل اسم المدينة يرجع إلى عرب بنى قيدار الذين ظهوروا أول مرة فى القرن السابع قبل الميلاد وقد حملت هذه المدينة نسبة إلى قبيلة عرب بنى قيدار انظر إحسان عباس: تاريخ دولة الأنباط، الطبعة الأولى (عمان ١٩٨٧م)، ص ٢٠-٢٢، وحاشية (٤)، ص ٦٣.

(65) كورازين: ذكرت بعدة أسماء مختلفة منها كورازيم أو كوروزيام أو كوروزيان أو كوروكايم وكان أكثرها شهرة كورازين ويعتبر تحديد موقعها غرب الأردن خطأً. انظر: بورشارد: المصدر السابق، ص ٦٣، حاشية (٣).

(66) مدينة دوثنان Dothan أو دوثايم Dothaim ، كانت تشاهد فى القرن الثانى عشر الميلادى فى أراضي جب يوسف على الساحل الشمالى من بحر الجليل. لكن الموقع الصحيح هو تل دوثنان الذى كان معروفاً فى القرن الرابع الميلادى، وكان مأهولاً بالسكان. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٢، ق ٢، ص ٢٧ .

(67) جبل جلعاد من أكثر جبال سلسلة جبال لبنان ارتفاعاً ، حيث يبلغ ثلاثة آلاف قدم، وقد ورد ذكر اسمه فى سفر أرميا " جلعاد أنت لى رأس لبنان" انظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٦٦، حاشية (١).

(68) بوركهارد: المصدر السابق، ص ٧٧ .

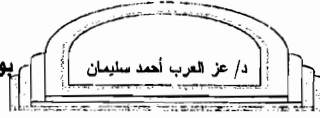
(69) بحيرة طبرية: هي نحو من عشرة أميال فى ستة أميال، وقد رأيتها مراراً، وهي كالبركة تحيط بها الجبال، ويصب فيها أنهر كثيرة تجيء من بانياس والساحل والأردن الأكبر، ويفصل منها نهر عظيم يسقي أرض الأردن الأصغر وهو بلاد الثغور، وبين

البحيرة والبيت المقدس نحو من خمسين ميلاً ويلاحظ أنها تعد أكبر مصدر للمياه العذبة في فلسطين. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٥١-٣٥٢ .

(70) بحيرة جينساريت: سميت بهذا الاسم بعد أن تغير اسم بلدة كَنَرُوت إلى جينساريت، وقد حملت البحيرة عدة أسماء أقدمها (بحيرة الجرجاشيين) نسبة إلى القبيلة العربية الكنعانية التي سكنت هذه المنطقة منذ فجر التاريخ ثم دُعيت باسم بحيرة كَنارة أو بحيرة كَنَرُوت نسبة إلى بلدة كنعانية يرجح أن موقعها كان في تل العريمة في ظاهر خان المنية الشمالي وفي العهد الجديد ذكرت هذه البحيرة باسم بحر الجليل وبعد إنشاء مدينة طبرية نسبت إليها البحيرة وما زالت تحمل هذا الاسم حتى الوقت الحاضر، وبحيرة طبرية تشبه الكمثرى في شكلها، ويبلغ طولها ٢١ كم وعرضها ١٢ كم ومساحتها ١٦٥ كم مربع. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ١، ق ٢، ص ٦٩.

(71) هيرودوس انتيباس الذي حكم إقليم الجليل منذ سنة ٤ ق.م - ٣٩ م وقد شمل حكمه البلاد الواقعة بين نهر الليطاني وبحيرة طبرية وعكا وصور ووادي اليباس ونهر الموجب، وقد أعاد بناء مدينة صفورية شمال غربي الناصرة كما بنى مدينة طبرية إكراما للإمبراطور تيبيريوس، انظر: يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، ت. القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، ط. ٣، (القاهرة ١٩٩٨ م)، ص ٢٦، حاشية (١).

(72) طيباريوس أو تيبيريوس: تولى حكم الإمبراطورية الرومانية سنة ٤١ م، وكان في الثانية والخمسين من عمره، وكان رجلاً جاداً، قدم خدمات جليلة للإمبراطورية أثناء فترة حكمه. اعتزل الحكم سنة ٢٦ م انظر دونالد دولي: حضارة روما، ترجمة جميل الذهبي وفاروق فريد، (القاهرة، ١٩٧٩ م)، ص ٢٥٦.



(73) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٩٠-٩١.

(74) أنظر وصف ثيودريش لجبال فقوعة ونهر الأردن. في وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ص ١٠٨-١٠٩.

(75) بورشارد: المصدر نفسه، ص ١٠٠، أما ياقوت الحموي فقد ذكر عنها أنها مدينة بالأردن بالغور الشامي، يقال عنها أنها لسان الأرض، وهي بين حوران وفلسطين، ويتصف أهلها بالبشرة السمراء. انظر معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٧.

(76) زرعين: دعيت باسم جرين Gerinum أو جراين Gerayn في القرن الثاني عشر الميلادي. وجرين الصغرى وهي جنين Jenin وأشار بوركهارد إلي أن زرعين كانت أحدي المدن العظيمة في إسرائيل، وكان عليه أن يشير إلي تلك البقعة التي أنشأ فيها الإسرائيليون مملكة إسرائيل، واتخذوا من سبسطية عاصمة لهم. انظر: بورشارد: المصدر السابق، حاشية (٣)، ص ١٠٠.

(77) يقصد بوركهارد بالعصور الحديثة بالنسبة له لأنه عاش في العصر الوسيط، أما عن إشارته إلي الحرب بين المغول والمسلمين فوق هذا السهل، فالمقصود هنا معركة عين جالوت التي انتصر فيها المسلمون علي التتار سنة ١٢٦٠م/٦٥٨هـ. بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٠٠-١٠١.

(78) جنين: ذكرها بوركهارد باسم عين جانيم Engannim وكانت في القرن الثاني عشر الميلادي تعرف باسم بلدة جراين الصغيرة. أنظر حاشية (٤)، ص ١٠٣، لكن ياقوت الحموي جنين بأنها مدينة صغيرة وجميلة، تقع بين نابلس وبيسان وتشتهر بكثرة العيون الجارية، أنظر معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٢، أما جنين في الوقت الحاضر فهي من المدن

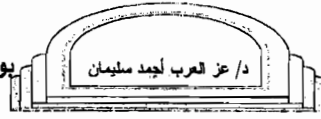
الكبيرة فى فلسطين، يحيط بها عدد كبير من القرى، وهى المركز الرئيسى ، وجميع ما تنتجه هذه القرى من ثروات يتم تسويقه فى جنين، ومنها إلى باقى المدن الفلسطينية، انظر سعيد البيشاوى: نابلس، ص ٥٥، حاشية (٢٥) .

(79) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٠٣ .

(80) مدينة نيابولس: (نابلس) تختلف كلية عن مدينة شكيم، لأن مدينة شكيم دمرت سنة ٦٧م على يد القائد فسبسيانوس ولم تشيد مرة أخرى، وهى تقع شرقى مدينة نابلس، ولا تزال أطلالها قائمة حتى هذه الأيام، أما نيابوليس فقد شيدت فى سنة ٧٠-٧١م غربى شكيم المدمرة، ولا تزال المدينة قائمة حتى اليوم وتعتبر من أجمل المدن الفلسطينية. عن نابلس انظر: Fulcher of Chartres: History of the expedition to Jerusalem, Trans. By Francise Rita Rian, Tennessee, 1969, P.30, P.78., William of Tyre: History of deeds done beyond the Sea, Trans. by Babcock and Krey, Vol. II, New York, 1943, P.88, P.206. سعيد عبد الله البيشاوى: نابلس، ص ٢١٠.

(81) بئر يعقوب: يقع فى أرضى قرية بلاطة الواقعة شرقى نابلس وعلى بعد ثلاثة كيلومترات منها. وعلى حافة هذا البئر تحدث السيد المسيح مع المرأة السامرية، وقد أقام الصليبيون فى هذا المكان كنيسة صليبية حملت اسم كنيسة بئر يعقوب، انظر، John of Wurzburg: Op Cit., P.8 ثيودريش: وصف الأماكن المقدسة فى فلسطين، ص ١٢٦. بورشارد: المصدر

السابق، ص ١٠٨. ويبدو أنها دمرت أكثر من مرة، وفى سنة ١١٨٧م دمرتها قوات صلاح الدين عقب فتح نابلس، وفى سنة ١٢٧٣م دمرها مرة أخرى السلطان الظاهر بيبرس، ويبدو أن الكنيسة رمت أكثر مرة والترميم الحالى يعود إلى أوائل القرن العشرين حيث احتفظت الكنيسة بالشكل



الرئيسى، ويظهر فيها السرداب المشتمل على البئر تحت مذبح الكنيسة. انظر سعيد البيشاوى:
كتاب نابلس، ص ٢١١.

(82) عن الأسماء القديمة التى أطلقت على بيت المقدس وتاريخ تسميتها، انظر: هايبيل
فهيمى عبد الملك: أورشليم "القدس" منذ أقدم العصور وحتى بداية العصر الرومانى"
بحث فى الندوة الدولية عن "القدس التاريخ والمستقبل" بمركز دراسات المستقبل
بجامعة أسيوط، (أكتوبر ١٩٩٦م) ص ١٩٣-١٩٥.

(83) أريحا: هى مدينة الجبارين فى الغور من أرض الأردن بالشام بينها وبين بيت
المقدس يوم للفارس فى جبال صعبة المسالك، سميت لأحد أبناء سام بن نوح عليه
السلام. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٦٥.

(84) بورشارد: وصف الأراضي المقدسة، ص ١٢٦.

(85) من الواضح بوركهارد أخطأ فى تقديره هذا، فالحقيقة أن الخمسة أميال تعادل
٩٢٤٠ متر، باعتبار أن الميل يساوى ١٨٤٨ متراً، وعند ضرب هذا الرقم فى خمسة
أميال يكون الناتج ٩٢٤٠ متراً، وبذلك يكون الفارق بين الرقم الحقيقى للخمسة أميال وما
ذكره بوركهارد. انظر: وصف الأرض المقدسة، ص ١٤٣، حاشية (١).

(86) لم تكن مدينة بيت المقدس كبيرة الحجم فى العصور الوسطى، لكنها كانت مدينة
صغيرة، إذا ما قورنت بحجمها فى العصر المسيحى الأول. بوركهارد: المصدر السابق
والصفحة، حاشية (٢).

(87) ذكر بوركهارد أن السور امتد غرباً حتى وصل بوابة الأسباط ثم ينحرف نحو
الشرق مرة أخرى حتى بوابة السامرة الواقعة عند الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة وبعد

ذلك ينحرف السور مرة أخرى من الشمال مستديراً نحو الشرق باتجاه الجنوب عبر المنطقة الواقعة خارج المعبد، مطوقاً المنطقة، وتقع بوابة المغاربة الواقعة قرب جبل صهيون من الشرق في المنطقة التي يتصل فيها الجزء الغربي من السور مع الجزء الشمالي. انظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٤٣.

Charles Couasnon: The Church of The Holy Sepulchre In (88)
Jerusalm. , P.32.

(89) ذكرها الرحالة الروسي دانيال الراهب باسم بوابة بنيامين ، وذكر أنه تشرف على اتجاه بيت لحم، وأشار أيضا إلي أن الحجاج المسيحيين كانوا يدخلون منها للأراضي المقدسة. أنظر رحلة دانيال الراهب في الديار المقدسة، ص ٥١، عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، ص ٢٤٠.

(90) بوابة القضاء وتقع في الجانب الغربي للمدينة علي مسافة شمال البوابة الأولى، وكانت تدعي بالبوابة القديمة أو بوابة القضاء أو الحكم. أنظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٤٥.

(91) من أشهر بوابات بيت المقدس، وأكبرها حجما، وكانت تعد المدخل الرئيسي للمدينة، وتم تجديدها زمن السلطان العثماني سليمان القانوني. انظر عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، ص ٢٤١.

(92) بوابة السامرة: تقع عند الزاوية الشمالية الشرقية لمدينة بيت المقدس، ولذلك أطلق عليها اسم بوابة الزاوية، وقد أقيمت هذه البوابة في السور الشمالي للمدينة منذ عهد قديم يرجع إلي ما قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام، واشتهرت هذه البوابة بعدة أسماء

منها: بوابة مدلين، وبوابة هيرودوس، وبوابة الزاوية، كما أطلق عليها اسم بوابة جب
أرميا، انظر المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٦٨ .

(93) تقع هذه البوابة فوق وادي قدرون، ومنها يؤدي الطريق من المدينة إلى الصحراء،
وكان تؤدي إلى أماكن غير مأهولة بالسكان. انظر بورشارد: المصدر السابق، ص ١٤٦.

(94) تقع جنوب بوابة الدمن، وتدعى ببوابة الضأن لأن الأغنام التي كانت تقدم للأضحية في
المعبد كانت تساق عبر هذه البوابة، أما تسمية بوابة الوادي لأن الطريق الذي يمر عبرها يؤدي
إلى وادي جوسفات الذي يقع بالقرب منه قبر السيدة العذراء. انظر: John of Wurzburg:

Description of the Holy Land. P. 64,51.

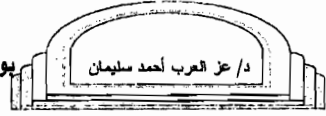
(95) يقصد معبد سليمان، عن تاريخه وآثاره انظر. Ibid, P.12.

(96) بوابة المغاربة: تقع في وادي قدرون في إلى الجنوب من البوابة الذهبية بين جبل
صهيون وجبل المعبد، وتدعى ببوابة الماء لأنها تؤدي إلى ينبوع وبركة الاستحمام في
سلوان. انظر: بورشارد: المصدر السابق، ص ١٤٧.

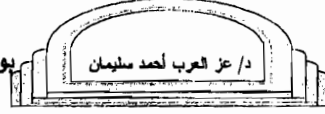
(97) جبل جيحون: هي التلة لمدينة بيت المقدس الواقعة غرب بيت المقدس، والاعتقاد
بأنها بركة جيحون السفلي فلم تلاحظ في العهد القديم علي أنها بركة السلطان، والبركة
شيدت في القرن الثاني عشر م ، انظر بورشهارد: مصدر سابق، ص ١٣١، حاشية (٤).

(98) جبل نبو: من ضمن سلسلة جبال مؤاب مقابل أريحا علي الجانب الشرقي من الأردن، ويبلغ
ارتفاع قمته ٦٤٣ قدم فوق سطح البحر، ويهبط إلى البحر الميت لعمق ٤٠٠٠ قدم، ومنطقة جبل
نبو مطلة علي البحر الميت ووادي الأردن. انظر: فون باجوت جلوب: اليهود واليهودية في

العصور القديمة، ترجمة رشاد الشامي، (القاهرة، ٢٠٠١م) ص ٨٢-٨٤.



- (99) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ، ص ١٤٢ .
- (100) بيت لحم: يذكر ياقوت الحموي عن هذه المدينة أنها بلدية قرب البيت المقدس، عامر حافل، فيه سوق وبازارات ومكان مهد سيدنا عيسى عليه السلام، علي بعد فرسخ من جبرين، ثم كانت النخلة وليس ترطيب النخيل بهذه الناحية، لكن جعلت لها آية، وبها كنيسة مشهورة. انظر: معجم البلدان، ج١، ص ٥٢١. John of Wurzburg: Description of the Holy Land. PP. 54- 55.
- (101) بورشارد: المصدر السابق، ص ٣٠ - ٣١ .
- (102) Aryeh Grabois: Op.Cit.,P.290
- (103) نسبة لمدينة قورينة الإغريقية وهي أحدي المدن التي أقامها اليونان في ليبيا، وتعرف الآن باسم مدينة شحات. انظر: سعيد البيشاوي: الترجمة العربية لرحلة بورشارد، ص ٢٨، حاشية ١ .
- (104) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ، ص ٢٨ .
- (105) يذكر بوركهارد أن هؤلاء قدموا من جورجيا وأرمينيا الكبرى والصفرى وبلاد الكلدانيين وسوريا وميديا وفارس والهند وإثيوبيا وبلاد النوبة والأنباط وهؤلاء كانوا من المواردة واليعاقبة والنساطرة واليونان والسريان وطوائف أخرى، انظر الرحلة، ص ٢٨ .
- (106) بورشارد: المصدر السابق والصفحة .
- (107) مدينة عاي: تعتبر من أقدم المدن الكنعانية، وتقع غربي مدينة أريحا، وقد تعرضت للغزو العبراني، وتم الاستيلاء عليها بعد أن أحرقت، وقام العبرانيون بقتل سكانها. انظر: إبراهيم الشريقي: أورشليم وأرض كنعان، عمان ١٩٨٥م) ص ٦٥ ،



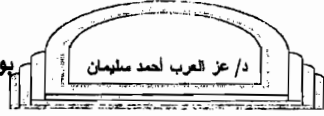
حاشية(١) ويذكر ياقوت الحموي عن بيت إيلياء بكسر أوله وألام، أنه اسم مدينة بيت المقدس، وقيل معناها بيت الله، أنظر معجم البلدان، ج١، ص٣٠٩.

(108) جرار: كانت أحدي المدن الفلسطينية الشهيرة وكانت تقوم علي التل المعروف باسم تل جمة الواقع علي الجانب الأيسر من وادي غزة، والموقع يبعد نحو خمسة وعشرين كيلو متراً إلي الجنوب الشرقي من غزة. انظر: بورشارد. المصدر السابق، ص٢٩، حاشية(٢).

(109) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص٢٩.

(110) الإمبراطور دقلديانوس تولي حكم الإمبراطورية البيزنطية فيما بين عامي سنة ٢٨٤-٣٠٥م وقام باضطهاد المسيحيين وأطلق بعض المؤرخين علي عهده عصر الشهداء، وقد أصدر أربعة مراسم قاسية ضد المسيحيين سنة ٣٠٣م، ينص الأول منها علي تدمير الكنائس المسيحية وإحراق الكتب المقدسة، ويقضي الثاني والثالث بالقبض علي كافة رجال الأكليروس، بمختلف طبقاتهم وعدم الإفراج عنهم، إلا بعد تقديم القرابين لآلهة الدولة، أما المرسوم الرابع فقد صدر سنة ٣٠٤م ويلزم كل فرد في الدولة أن يقدم قرابينه للآلهة. والى جانب ذلك منعهم من العمل في المدارس وكذلك من السفر في البريد الإمبراطوري. أنظر حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٨٣م) ص١٧-١٨، رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة، ج٢ ط٢ (دار المعارف، ١٩٨٢م)، ص٤٢-٥٣.

(111) القديس أوريجين St. Origen عاش في الفترة الواقعة بين سنتي ١٨٥-٢٥٥م، وقد تعلم اليونانية علي يد أبيه، وبعد وفاته انكب علي دراسة الأدبيات وتعمق فيهان كما ألم بفقهاء اللغة، وقد



سافر إلى اليونان بسبب أمور كنسية عن طريق فلسطين، وتم ترسيمه قساً في قيسارية، ووضع عدة مؤلفات عن الكلمة الإلهية ونشرها وهو في عنفوان شبابه. انظر يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، الكتاب السادس، الفصل الثاني، ٢٨٦-٢٩٣، محمود محمد الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨١م)، ص ٦٩ .

(112) بورشارد: المصدر السابق، ص ٤٤-٤٥ .

(113) ذكر دانيال الروسي أن اليهود قاموا بطعن صورة المسيح برمح، وعندما اندفع منها الدم والماء، تحول كثير منهم للمسيحية، وعمدوا أنفسهم باسم الأب والابن والروح القدس. أنظر رحلة الحاج دانيال الراهب في الديار المقدسة، ص ١٠٤ .

(114) جبل عكار: ويقع علي بعد فرسخين من طرابلس وفرسخ واحد من جبل لبنان وهو جبل مرتفع بعض الشيء ذو مظهر مستدير وعند سفحه من الناحية الشمالية انظر: بورشارد: المصدر السابق، ص ٥٤ .

(115) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٤٩-٥٠ .

(116) قادش نفتالي: من أقدم المدن الكنعانية، وكلمة قادش تعني المقدس، ذكرها الرومان بمعنى قاداسا Cadasa ، وذكرها الصليبيون باسم قدس Cadis وصفها الرحالة المقدسي بأنها مدينة صغيرة علي سفح جبل كثير الخير بها ثلاث عيون شربهم منها، وحمامهم واحد، والجامع في السوق. انظر أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٠، ١٨١ .

(117) جبل طابور Tabor: هو جبل الطور ويقع في إقليم الجليل بشمال فلسطين وفي ظاهر قرية دبورية التي شيدت عند سفحة الغربي، ويشرف علي سهل مرج بن عامر، ويبعد نحو أربعة أميال إلى الشرق من مدينة الناصرة، ويرتفع عن سطح البحر نحو خمسمائة وثمانية وثمانين



متراً، وقد اهتمت المصادر الصليبية بالإشارة إليه، عنه انظر، Anonymous: The Deeds of the Franks and the other pilgrims to Jerusalem, Trans. By R. Hill, London, 1962, P.100, Daniel: the pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land, Trans. By Wilson. P.P.T.S., Vol., IV (London, 1895) PP.66-67.. ، الشابشتى: الديارات، تحقيق كوركيس عواد ، ط.

(بغداد، ١٩٥١م) ، ص ١٣٢، طه قلجي: الطراونة، تاريخ مملكة صفد في عهد المماليك. ط. (بيروت، ١٩٨١م) ص ٧٥-٧٦، مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٧، ق ٢، ص ١٣-١٨.

(118) جبل الجليل: في ساحل الشام ممتد إلى قرب حمص، ويقال أن عيسى عليه السلام دعا لهذا الجبل أن لا يعدو سبعه ولا يجذب زرعه. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥٧.

(119) إنجيل متى ١٤: ١٧-٢٠، إنجيل لوقا ٩: ١٤-١٧، إنجيل مرقس ٦: ٢٨-٤٢.

(120) ذكر بوركهارد أن السيد المسيح عليه السلام وقف عند شاطئ بحيرة طبرية بعد بعثه حيث قال لأتباعه الذين كانوا يصطادون "أيها الغلمان هل لديكم شيئاً للأكل". يوحنا: آيه ٢١-٢٨، كما ذكر أيضاً أنه علي بعد عشر خطوات من هذا المكان نزل أتباع المسيح من السفينة وأوا السمك (يشوي) علي النار المتقدة بالفحم، كما شاهدوا الخبز أيضاً. انظر: يوحنا: آية ٩: ٢١. بوركهارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٧٢، ٧١.

(121) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٧١-٧١.

- (122) سويتا **Suetha** أو **Suite**، امتدت من بركة الروم إلى الجنوب من درعا وكان نهر اليرموك يجري في تلك المنطقة وهناك من يذكر أنها بعدت ١٦ ميلاً من طبرية، وأنها كانت موقعاً لاحتفال سنوي من جانب عناصر اليونانيين والسريان، عنها أنظر: **William of Tyre: Op.Cit., Vol.II, P.27**، هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، (القاهرة ١٩٨٥م)، ج ١، ص ١٨٣.
- (123) بورشارد: المصدر السابق، ص ٧٧.
- (124) وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ص ١٠٥.
- (125) قانا الجليل : قانا كلمة سريانية بمعنى العش، وقد ذكرت في العهد الجديد، وفيها قام السيد المسيح عليه السلام بعمل معجزتين الأولى تحويله الماء إلى خمر والثانية شفائه من مسافة بعيدة أبن الحاكم المريض **John of Wurzburg: Description of the Holy Land.P.5**، ويعتقد بعض الباحثين أن قرية كفر كنا الحديثة تقوم علي بقعة قانا الجليل، وهي تقع في الشمال الشرقي من الناصرة، وعلي بعد ستة كيلومترات منها. انظر مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٧، ق ٢، ص ٨٩، ص ٩٤، ص ٩٦.
- (126) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٨٦.
- (127) أن السبب الوحيد وراء ذلك هو أنه كان نتيجة للتدمير المتكرر للكنائس المبنية في هذه الأماكن، فقد تم رفع بقايا الهدم فوق التربة، ثم بعد أن سويت التربة، ومع الوقت تم بناء مباني أخرى فوقها، أنظر، **Aryeh Grabois: Op.Cit.,P.291**
- (128) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٨٦ - ٨٧.
- (129) أورد بوركهارد قصة التبليغ الملائكي للسيدة العذراء قائلاً: " وبعد التبليغ الملائكي من قبل الروح القدس، حملت السيدة مريم العذراء في رحمها السيد المسيح (عليه السلام) كما روي أيضاً

قصة إحضار الملاك جبرائيل أبناء الخلاص للعرزاء المباركة قائلاً: " سلام أيتها المُنعم عليها! الرب معك، مباركة أنت بين النساء." إنجيل لوقا: آية ١ : ٢٨). وفي القرآن الكريم وردت آية الخلاص للسيدة مريم العذراء، حيث قال الله تعالى: "... قالت أني يكون لي غلام ولم يمسنني بشرٌ ولم أك بغيا، قال كذلك قال ربك هو علي هينٌ ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً...". مريم، آية ٢٠-٢١.

(130) بورشارد: المصدر السابق، ص ٩٢-٩٣.

(131) يذكر بوركهارد أنه ما يزال موضع البيت التابع لسمعان المجذوم، حيث جلس معه السيد المسيح علي طاولة، وكذلك منزل مرثا، حيث كان المسيح ينزل ضيفاً لديها، وقد حول هذا المنزل إلي كنيسة مخصصة لهما. أنظر: بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٢٤.

(132) قرية العزرية تقع علي حدود بيت المقدس، وقد أقيمت القرية علي احدي الروابي الواقعة جنوب شرق المدينة المقدسة. ذكرها الرحالة ثيودريش أنها محصنة بطبيعة الأرض، وقوة العمل الصالح. أنظر وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ص ١٠٤. وفي العصر الصليبي أنشأت الملكة ميلسند ديراً في القرية عرف باسم دير بيثاني، أنظر مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٢، ق ٢، ص ١٤٢-١٤٧، سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية، ص ٢٣٣، حاشية (١).

(133) بورشارد: المصدر السابق، ص ١٢٤، ١٢٥.

(134) الجسمانية تعني "معصرة الزيت" التي كانت وفق التقليد المسيحي في العهد الجديد

فى البستان الذى صلى فىه يسوع المسيح صلته الأخيرة قبيل تسليمه للسندهرين أولاً ثم للرومان للصلب. أنظر: الأناجيل: متى ٢٦: ٣٦-٥٨، مرقس ١٤: ٣٢-٥٢؛ لوقا ٢٢: ٣٩-٥٤؛ يوحنا ١٨: ١-١٣.

(135) جُلجئة: هى موضع يقع خارج القدس القديمة، يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح صلب عنده الجلجئة. أنظر: الأناجيل متى: ٣٣ - ٢٧، مرقس: ٢٢ - ١٥، لوقا: ٣٣ - ٢٣، يوحنا: ١٧ - ١٩.

(136) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٢٥-١٢٦.

(137) كنيسة القيامة (كنيسة القبر المقدس) تحتل المكانة الأولى بين جميع هذه الأماكن، ويصفها بأنها مستديرة الشكل يبلغ مقياس قطرها بين الأعمدة ثلاثة وسبعين قدماً، وفوق قبر السيد المسيح عليه السلام والواقع فى منتصف الكنيسة توجد فتحة مستديرة، بحيث يقع السرداب المؤدى إلى القبر فى الفراغ المفتوح. أنظر: بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٣٨. وأيضاً انظر:

Charles Couasnon: The Church of The Holy Sepulcher In Jerusalem.

(London, 1974), PP.17-20,

(138) كنيسة الجُلجئة: وتقع إلى جانب كنيسة القيامة، وهى مستطيلة الشكل وتتصل بمذبح كنيسة القيامة (كنيسة القبر المقدس) لكنها منخفضة عنها قليلاً، لكن كلاهما يقع تحت طابق علوى واحد.

أما أرضيه هذه الكنيسة الصغيرة قد سويت بالرخام من الداخل، كما غطيت جدرانها بالرخام

أيضاً، وزخرفت بأشغال الفسيفساء من الذهب الخالص. أنظر Ch. : Couasnon

Church of The Holy Sepulcher In Jerusalem. PP.50-52. John of

Wurzburg: Description of the Holy Land.P.35.

(139) ذكر بوركهارد أن طول الكهف ثمانية أقدام، وعرضه يصل أيضا نحو ثمانية أقدام، والكهف مغطي بالرخام من الخارج، وهو عبارة عن صخرة مكشوفة من الداخل، كما كان عليه الحال وقت دفنه. (السيد المسيح) وقد شيد هذا القبر من الرخام الرمادي اللون، والقبر ممتد بطول ثمانية أقدام، وذكر أنه لا توجد نوافذ في هذا المكان لذلك تم تعليق تسعة أسرجه فوق القبر تعطي الضوء. أنظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٣٩ .

(140) نفسه، ص ١٥٩ .

(141) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى، ص ٨٥ .

(142) احتوت بلاد الشام على عدد كبير من الأنهار الحيوية، التي اختلفت من حيث امتدادها الجغرافي، وقد أجملها في حوالي ستة عشر نهراً، بدأها بنهر الفرات حتى نهر الليطاني، إضافة إلي أن هناك بحيرة طبرية، وبحيرة الحولة. إلي جانب العديد من العيون والينابيع وخاصة في الضفة الغربية لنهر الأردن، حيث مثلت جانباً مهماً من مصادر المياه العذبة، إضافة إلي سقوط الأمطار الغزيرة والتي تغذي الأنهار والبحيرات والعيون سائلة الذكر، كما استفادت منها السهول الجبلية والساحلية في زراعة المحاصيل الزراعية والفواكه، والتي شكلت أهمية كبيرة بالنسبة للصليبيين. انظر: محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية (السياسة- المياه - العقيدة) عين للدراسات والبحوث الإنسانية (القاهرة ٢٠٠١م) ص ٧١-٧٢ .

(143) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٤١ .

- (144) يدعى هذا النبع باسم رأس العين، وهو يقع خارج حدود مدينة صور، ولكنه يكون قريباً منها من الناحية الجنوبية للمدينة. انظر: الترجمة العربية للرحلة، ص ٤٢، حاشية (١).
- (145) المقصود هنا نهر قاديشا Ksdisha River الذي يزود طرابلس بالمياه، كما إنه يزود منطقة الريف بكميات كبيرة من المياه، التي توصف بأنها مياه عذبة وصافية، وقد أقيم على ضفاف هذا النهر عديد من الكنائس،. انظر: بورشارد: المصدر السابق، ص ٥٢، حاشية (٢).
- (146) جبل عكار: ويقع على بعد فرسخ واحد من جبل لبنان وهو جبل مرتفع بعض الشيء ذو مظهر مستدير وعند سفحه من الناحية الشمالية رأيت كهفاً يوجد به مذبح، يرتفع اثني عشر قدماً، ويحترم المسلمون ويوقرونه ويقومون بزيارته، ويقولون أنه قبر يوشع، والذي اعتقد أنه غير صحيح، ويقول أميل إلي اعتقاد أكثر صحة وهو أنه قبر كنعان بن حام ابن نوح أو لأحد من أحفاده.. انظر بوركهارد: المصدر السابق، ص ٥٤.
- (147) بورشارد: نفسه، ص ٥٢، هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج ١، ص ١٨٩.
- (148) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٤٨، ص ٥٤-٥٥.
- (149) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوروبيون، ص ٨٢.
- (150) بورشارد: المصدر السابق، ص ٣٩.
- (151) سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.
- (152) الشومر: هو من النباتات التي تنمو في فلسطين، ورائحته عطرية، ويستعمل كغذاء مثل الجرجير والبقدونس، كما إنه يستعمل في علاج الالتهابات في الأغشية المخاطية

كالتهاب المعدة والأمعاء والتهابات الجهاز البولى. كذلك يفيد الشمر فى إدرار الحليب، ويهدى السعال والسعال الديك ونوبات الربو. بورشارد: ص١٦٧، حاشية(٢).

(١٥٣) المرمية: sage من النباتات الطبية التى تنمو بكثرة فى الأراضي الفلسطينية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى السيدة مريم العذراء، لأنها أول من استعمله للعلاج. ويطلق سكان فلسطين على هذا النبات اسم المرمية. وتمتاز أوراق نبتة المرمية بأنها مرة المذاق ولونها أخضر. ويستعمل أهل فلسطين هذا النبات من أجل علاج الاضطرابات المعوية، و اضطرابات الدورة الدموية، كما أنها تعمل على تنظيم العادة الشهرية عند النساء، وتوصف المرمية لعلاج الكثير من الأمراض وخاصة الروماتزم والإسهال، والصداع النصفي وانحباس البول والتوتر العصبى وأحيانا الرجفة فى اليدين وضعف الذاكرة عند الشيخوخ، وارتفاع درجة الحرارة، هذا إلى جانب عدة فوائد أخرى. انظر: سعيد البيشاوى : الممتلكات الكنسية ، ص ٣٩٤ ، حاشية(١).

(١٥٤) السذاب: نوع برى وبستاني، إلا أن البرى أصغر ورقا وأحد رائحة ، ويطلق عليه اسم الفيحن، والبستاني يزرع طول السنة . انظر: سعيد البيشاوى: المرجع السابق، ص ٣٩٤ .

(١٥٥) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص١٦٨.

(١٥٦) المصدر السابق، ص١٦٨.

(١٥٧) هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ج١، ص١٨٩.

(١٥٨) ذكر بوركهارد أنه يتم تقطيع عود القصب إلى قطع صغيرة، بحيث تبلغ طول القطعة إصبع الإنسان، وذلك من أجل الحصول على عقدة (عقله) فى وسط كل قطعة،

حيث يوجد عديد من العقد في (عود) قصب السكر. وبعد ذلك يقومون بغمر هذه القطع في أرض رطبه خلال فصل الربيع، وتنمو (من هذه العقد) قصبات جديدة، اثنتان من كل واحدة في كلا طرفي العقدة وهكذا تتم طريقة زراعة قصب السكر. أنظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٦٨-١٦٩.

(159) عن ذلك بالتفصيل أنظر: عبد الرحمن المغربي: "قصب السكر في فلسطين إبان السيطرة الفرنسية ١٨٩٢-١٩٠٦هـ/١٠٩٩-١٢٩١م" مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، م (٢٠) عام ٢٠٠٦م، ص ٧٣١، ص ٧٦٣.

(160) بورشارد: المصدر السابق، ص ٥٤، ص ٥٥، ص ٦٠، ص ٦٦.

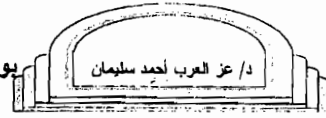
(161) نفس المصدر، ص ٩١.

(162) بورشارد: المصدر السابق، ص ٥١-٥٢.

(163) أطلق بوركهارد علي الموز اسم (فاكهة الجنة)، وذكرها بأنها فاكهة خالية من البذور، وتؤكل مباشرة بعد تقشيرها، وتحتاج هذه الثمار لأكثر من سنة لتنمو، وتعيش شجرة الموز سنتين في الغالب، وعندما تبدأ بالذبول تبدأ شجرة أخرى بالتبرعم، أو النمو مباشرة من جذورها، وتقوم بنفس ما قامت به الشجرة السابقة، والشجرة طويلة بارتفاع رجل، أما أوراق هذه الشجرة فهي عريضة، بحيث يمكن للمرء تغطية كل جسده بورقتين منه". انظر بوركهارد: المصدر السابق، ص ١٦٩.

(164) نفسه، ص ١٦٩.

(165) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى، ص ٨٧.



(166) يوشع براور: الاستيطان الصليبي في مملكة بيت المقدس، ت. عبد الحافظ البناء، ط. القاهرة (٢٠٠١م)، ص ٤٣١، ص ٤٣٢.

(167) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٤٢.

(168) نفسه، ص ١٦٨.

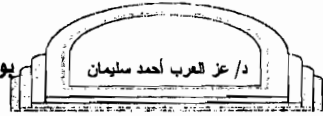
(169) نفسه، ص ١١٤. ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أن طواحين السكر تقع على بعد كيلو واحد من أريحا القديمة تل السلطان، سفح جبل القرنطل، وأن تاريخ تأسيسها يعود إلى سنة ١١١٦م، وأضاف أنها كانت تستعمل طوال فترة الحكم الصليبي لهذه المنطقة ولا يزال يوجد بالموقع ثلاثة طواحين. انظر سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية، ص ٣٩٨، حاشية (٣).

(170) بورشارد: المصدر السابق، ص ١٧١، ١٦٩.

(171) الشملة: (الخملة) وهو نوع من القماش يصنع من الصوف أو الشعر يلقى على الكتفين. انظر، هايد: تاريخ التجارة، ج ١، ص ١٩٠، وذكر أيضا أن الشملة وكساء يُشتمل به أو يتغطي به، ويُتلف فيه. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة شمل. وذكر أيضا أنه ثوب من صوف كالكساء له خمل وهو غزل قد نسج وافضلت له فضول (زيادات) راجع المخصص لابن سيده، باب المخطط من الثياب (دار إحياء التراث العربى) الطبعة الأولى، تحقيق خليل إبراهيم جفال (بيروت ١٩٩٦)، ج ١، ص ٣٩١.

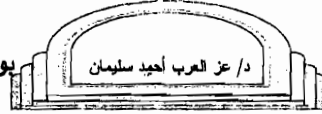
(172) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٥١.

(173) هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج ١، ص ١٩٠.



(174) عن طريق الحرير أنظر: أبو عساف: "طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم" مجلة دراسات تاريخية - جامعة دمشق السنة (١٢)، العددان ٣٩، ٤٠، كانون الأول، ١٩٩١م، ص ٧٢-٨٢، عبد الرحمن حميده: طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركوبولو، العدد المذكور، ص ٨٣ - ص ٩٥، محمد مؤنس عوض: الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية. ط. (القاهرة، ١٩٩٥م)، ص ٣٢١ - ص ٣٢٢، ساطع محلي: طريق الحرير ١٩٩١م "الطريق وسيله وصله حضارية بين الشعوب، العدد المذكور، ص ٤٩ - ص ٧١، نعمان جبران: محاولات المغول السيطرة علي طريق الحرير (أسباب ونتائج) العدد المذكور، ص ١٣٨ - ص ١٥٥، أيرين فرانك، ديفيد براونستون: طريق الحرير، ت. أحمد محمود، ط. المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، (١٩٩٧م)، ص ١٦.

(175) الثورة التجارية: ظهرت عندما ترسخ النظام الإقطاعي في الغرب الأوربي، حيث ازدهرت الأوضاع الاقتصادية، ومع نجاح الصليبيين في احتلال العديد من مدن بلاد الشام، توسعت التجارة الإيطالية في معظم موانئ البحر المتوسط، الأمر الذي ربط الغرب الأوربي بالشرق الإسلامي، وعندما أطل القرن الثاني عشر الميلادي، ظهر في أوروبا ما عرف بنهضة حضارية شملت العديد من نواحي الحياة في الغرب الأوربي، ومن بينها الثورة في المجال التجاري، فقد أزيلت القيود التي كانت تعطل التجارة الداخلية، وأصبحت الطرق آمنة لمرورها، وتم وضع نظام موحد للمقاييس والموازين، كما تم تحديد العوائد والمكوس التجارية المفروضة علي السلع، الأمر الذي أحدث ثورة في النشاط التجاري. للمزيد انظر: ول ديورانت: قصة الحضارة، (عصر الإيمان)، ترجمة محمد بدران، ط. القاهرة، (٢٠٠١م)، مج ٨، ج ١٥، ص ٧٠ - ٧٣.



(176) حرص المغول على تأمين طرق التجارة فعملوا على تنمية المدن التي سبق لهم تدميرها، خاصة في تركستان وفارس حتى قيل أن طريق الحرير لم يشهد سلاماً من قبل مثل الذي شهده في القرن الثالث عشر على طول المنطقة الممتدة من بلاد الصين وحتى حدودهم الغربية في الأراضي التي كانوا يسيطرون عليها في فارس. انظر: أيرين فرانك: طريق الحرير، ص ٢٩٩.

(177) ذكر بوركهارد أن صناعة المخللات كانت قائمة في بلاد الشام على بعض أنواع الفاكهة مثل البرتقال والليمون والزيتون وتفاح آدم، للأكل خاصة مع الدجاج والسمك وأطعمة أخرى، وهي تجعل الطعام سائغاً ولذيذاً. انظر: بورشارد: المصدر السابق، ص ١٦٩.

(178) هايد: المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٩.

(179) سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، ص ٣٨٧.

(180) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٧٠.

(181) بونروس: وهي مدينة تدعى اليوم باترون، وهي تقع شمال مدينة جبيل. انظر

بورشارد: المصدر السابق، ص ٥٠، حاشية (٥).

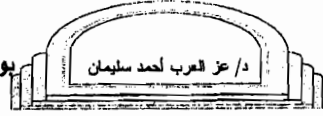
(182) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٥٠-٥١، هايد: تاريخ التجارة، ج ١، ص ١٨٩.

(183) بورشارد: المصدر السابق، ص ١٧٠.

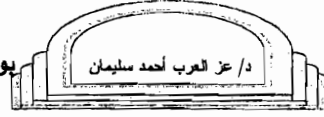
(184) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى، ص ٨٧، سعيد

البيشاوي: الممتلكات الكنسية في الأرض المقدسة، ص ٤٣٤-٤٣٥.

(185) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٧١.



- (186) بورشارد: المصدر السابق ، ص ١٧٤ .
- (187) وريد النيل: يعرف هذا الجدول أو الينبوع الآن باسم عين التبعجه **Ain et Tabjah**. ويقع عند سهل كفر ناحوم، انظر للترجمة العربية للرحلة، حاشية رقم (٢)، ص ٧١ .
- (188) هي نوع من الأسماك الصغيرة وهي تسمية سوقيه انتشرت بين جميع العامة في منطقة البحر المتوسط كصفه لنوع من سمك البحر المعروف باسم الكافيار انظر: بوركهارد: المصدر السابق، ص ٧١، حاشية رقم (٣). وعن الأسماك في ذلك العصر أنظر: موسى بن ميمون: شرح أسماء العقار، تحقيق ماكس ماير هوف، ط. القاهرة، ١٩٣٩م، ص ٣٨، القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط. القاهرة، ب. ت)، ص ١٣٨، محمد مؤنس عوض: "الأسماك في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية" ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية، بحوث ودراسات، ط. القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٠٥ - ١٣٧ .
- (189) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ، ص ٧١ .
- (190) ذكر بوركهارد أنه على ساحل بحيرة طبرية، يوجد المكان السذي وقف عليه السيد المسيح عند الشاطئ بعد بعثه، حيث قال لأتباعه الذين كانوا يصطادون "أيها الغلمان هل لديكم شيئاً للأكل". وعلى بعد عشر خطوات من هذا المكان، نزل أتباع السيد المسيح (عليه السلام) من السفينة ورأوا السمك (يشوي) على النار المتقدة بالفحم، كما شاهدوا الخبز أيضاً، ويطلق المسيحيون على هذا المكان اسم المائدة. انظر: يوحنا: ٢١، ١: ٩، بورشارد: نفسه، ص ٧١ - ٧٢ .
- (191) نفسه، ص ٧٢ .
- (192) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ، ص ١٤٤، حاشية (١).



(193) القديس بندكت: ولد حوالى سنة ٤٨٠م ، فى إقليم نورسيا Nurcie ، (سبعون ميلا شمال شرق روما) من أسرة ثرية، أرسله والديه إى روما من أجل التعليم ، لكنه عندما رأى انتشار الرزيلة فى المجتمع آنذاك قرر الانسحاب من هذا العالم، والتخلى عن ميراثه الضخم ، وصمم على اعتناق الحياة الديرية، فتوجه إى كهف سيباكو Subiaco ، حيث عاش حياة التقشف والانعزال. ويذكر عنه أنه كان كث الشعر حول صدره، وكان يرتدى لباس من جلد الحيوانات ، حتى ظن بعض الرعاة الذين يسكنون حول هذا الكهف أنه حيوان مفترس، فأرادوا قتله ، ولكن مع مرور الوقت تيقنوا شخصيته ، وكانوا أول من تبعوه ونشروا اسمه، حتى قدم الناس إليه ليأخذوا منه العظام ويلتمسوا منه البركات، وفى سنة ٥٢٩م، استقر به المقام فى مكان بين روما و نابولي، حيث أقام أعلى جبل كاسينو Cassino على أطلال معبد وثى ، شيد عليه دير عرف باسم " مونت كاسينو" انظر :

St. Gregory: Life and miracles of St. Benedict, tran. By.

Ono.J.Zimmermann, (Minnesota, 1949) P.2 Bettenson. H.: Documents of the Christian Church,(Oxford,1963),P.11

Cannon.W.:Histoire du Christianisme Au Mayen age, (Paris,1961) PP.19-20

(194) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون فى العصور الوسطى، ص ٨٧.

(195) تعريف السراقنة: Saracen (المسلمون) أو السوريين وقصدوا به البدو الذين كانوا يعيشون منذ أزمان بعيدة على أطراف المناطق المزروعة ما بين النهرين، وتعنى الكلمة باليونانية ساكنى الخيام، وقد أطلق المؤرخون والحجاج الصليبيون هذا اللفظ على جميع المسلمين انظر : كليفورد بوزورث وجوزيف شاخت: تراث الإسلام، ترجمة

محمد زهير السمهورى وآخرون، عالم المعرفة (الكويت، ١٩٧٨م)، ص ٨٠، حاشية (١) ،
إحسان عباس: تاريخ بلاد الشام، ص ٥٥ .

(196) يشير بورشارد إلى أن الديانة الإسلامية كانت مفهومة بصورة جيدة فى القرن
الثالث عشر الميلادى بالمقارنة مع فهم الصليبيين لهذه الديانة عندما حضروا فى البداية
إلى فلسطين. بورشارد، المصدر السابق، ص ١٧٢، حاشية (٢).

(197) يوحنا المعمدان **John the Baptist**: هو أحد رجال الدين من يهودا، عصر المرحلة الأولى
التي سبقت ظهور السيد المسيح مباشرة، وكان والده يدعى زكريا، وكانت تعاليمه ذات أثر كبير على
المعاصرين، وقد قتل على يد هيرودس. عنه أنظر: **Hastings: Dictionary of the Bible**,
، 312 – 309 (New York, 1963) PP., سامى سعد الأحمد: تاريخ فلسطين القديم، ط.

(بغداد، ١٩٧٩م)، ص ٣٧١ ، ص ٣٧٢ .

(198) بسببية: دعت بالسامرة نسبة إلى تل شمر التي شيدت عليه المدينة، أنظر وليم
الصوري: الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٨٢ .

(199) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٠٤ .

(200) ذكر بوركهارد العديد من صور تبجيل وتقدير المسلمين للسيد المسيح والسيدة
العذراء، فقد ذكر أنهم يؤمنون بصدق أن المسيح هو كلمة الله، ولكنهم يقولون أنه ليس
الله، ويقولون أن العذراء قد تسلمت الروح المقدسة، وقد حملت به وهي عذراء. انظر:
بورشارد: نفسه، ص ١٠٤ .

(201) أخطأ بوركهارد عندما ذكر أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قد أرسل للمسلمين فقط، لأن الرسول الأعظم بعث لجميع الأمم، وكانت رسالته عامه بدليل قول الله تعالى " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً" سبأ آية ٢٨، وقال تعالى " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" الأنبياء: آية ١٠٧.

(202) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٠٤.

(203) يشير بروكهارد إلى تعدد الزوجات، ويبدو أنه لم يفهم أهمية هذه الناحية في التشريع الإسلامى، وذلك لأن الإسلام تحدث عن ضرورات التعدد الشخصية: كأن تكون الزوجة عقيمة، أو مصابة بمرض مزمن أو معد أو منقر، وربما يكون الزوج كثير الرحلات وليس باستطاعته أن ترافقه زوجته وأولاده معه، ويخشى أن يقع في الفاحشة فيتزوج زوجة شرعية. أنظر: عبد الله ناصح علوان: تعدد الزوجات في الإسلام، وحكمة تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، دار السلام طبعة ١ (القاهرة بدون تاريخ)، ص ١٣ وما بعدها، كرم حلمى فرحات أحمد : تعدد الزوجات فى الأديان، دار الوفاق العربية، طبعة ١ (القاهرة، ٢٠٠٢م) ص ٢٠-٢٥. وتجد الإشارة إلى أنه تم حذف بعض العبارات التى لا تليق بالمسلمين. عن طريق د سعيد البيشاوي مترجم الرحلة. أنظر ص ١٧٢، حاشية (٣).

(204) أنظر: محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى، ص ٨٨.

(205) دير كولوني Cluny : بجنوب فرنسا والذي أسسه وليم النقي William of Auvergne

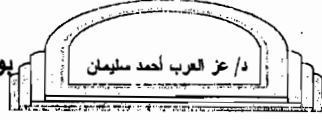
في الحادى عشر من سبتمبر ٩١٠م، ليكون مكاناً للعبادة، واستقبال الحجاج والفقراء والمرضى،

وعين القديس برنون رئيساً له. (أنظر : Bredero.HA: Cluny et Citeaux Au

Douzieme,P.1, Anne Boud: Cluny un grand Chantier medieval au

Coeur L`Europe,P.29. فقد قامت القاعدة الديرية الكولونية على أسس وقواعد أهمها:

تحرير الأديرة من كل سلطة علمانية متسلطة. ارتباط مقدم الدير الكولونى بالبابوية مباشرة. ثم



خضوع جميع الأديرة الكلونية إلي دير مركزي واحد مركزه دير كلوني، وهذا الدير يكون مطلق السلطة علي كل الأديرة التابعة له، وبهذا أصبح مقدم دير كلوني أباً لجميع الأديرة الفرعية الملحقة به، وهو يخضع سلسطة البابا مباشرة. انظر: Cowdery.H.: The Clunians and Gregorian Reform (Oxford, 1970)., P.3.

(206) يعد بطرس الفيرابلي Peter The Venerable هو رئيس دير كلوني Cluny بفرنسا

وقد قام برحلة إلي اسبانيا فيما بين ١١٤١، ١١٤٣م، وشكل لجنة بمساعدة ريمون التطيلي لترجمة القرآن الكريم إلي اللغة اللاتينية، وبوفاته سنة ١١٥٧م انتهت قائمة رؤساء الأديرة الصالحين. عنه انظر: Peter The Venerable: The Letters of Peter The Venerable, Raymond Venerable, ed. By Giles Constable, (Cambridge, 1967)

Oursel: Le Secret de Cluny.,P. 251-253, Leclercq: Pierre Le Venerable, (Paris, 1946), P.23, Southern: Western Views of Islam in the middle Ages, (Cambridge, 1962), P. 38. "حول ترجمة معاني

القرآن الكريم" مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٤٢)، ط. الكويت، ٢٠٠٠م، ص ٢٨، محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية السياسة - المياه - العقيدة، ص ٩٦، ص ١١١.

(207) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوروبيون في العصور الوسطى، ص ٨٨.

(208) محمد مؤنس: المرجع السابق، ص ٨٨.

(209) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

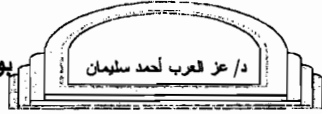
(210) بورشارد: وصف الأراضي المقدسة، ص ٢٧-٢٨.

(211) نفسه، ص ١٧٣.

(212) Aryeh Grabois:, Op.Cit., P.295.



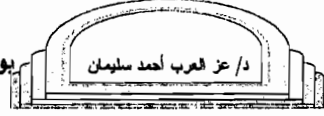
- (213) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص٤٦، حاشية(١).
- (214) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون فى العصور الوسطى، ص٨٤.
- (215) Aryeh Grabois: " Christian Pilgrims in the Thirteenth century...".P.293
- (216) بورشارد: المصدر السابق، ص١٧١-١٧٢.
- (217) Aryeh Grabois:, Op.Cit.,P.294.
- (218) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية، دراسات فى التاريخ المقارن، ص٢١٩.
- (219) Aryeh Grabois: " Christian Pilgrims in the Thirteenth century .,PP294-295
- (220) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية دراسات فى التاريخ المقارن، ص٨٤.
- (221) أشار بوركهارد على بعض الطوائف الدينية المسيحية التى كانت تستقر فى مدينة طرابلس بينما لم يشر إلى بقية الطوائف، واكتفى بالإشارة إلى وجود جماعات أخرى كانت تقيم فى المدينة، واعتقد أنه لم يكن موقفاً فى وصفه لأنه قسم السكان حسب طوائفهم واعتقاداتهم وكان الأجدد به أن يصنف السكان حسب أجناسهم كأن يقول ويقطن المدينة أجناساً من العرب أو العجم أو البربر وغيرهم انظر : وصف الأرض المقدسة، ص٥١، (حاشية(٢)).
- (222) بذل الباباوات فى روما جهوداً كبيرة فى القرنين الثانى عشر و الثالث عشر من أجل التوفيق بين الطوائف الشرقية وعلى وجه التخصيص فى القرن الثالث عشر من أجل ضم الأرمن للمذهب الكاثوليكي، لكن عدداً ليس قليلاً تحول باستثناء الموارنة انظر: بورشارد: المصدر نفسه، ص١٧٤، حاشية(١).



- (223) بورشارد: المصدر السابق، ص٦٦. Aryeh Grabois: " Op.Cit.,P.295
- (224) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص١٧٣.
- (225) عقد في مدينة ليون سنة ١٢٧٤م، ولهذا فإن بورشارد يجب إن يكون قد دون رحلته بعد هذا التاريخ. انظر:
وصف الأرض المقدسة، ص ١٧٣، حاشية(١).
- (226) بورشارد: نفس المصدر، ص١٧٣.
- (227) أقام هولاء في المنطقة الممتدة بين مصر والحجاز ما بين شبه جزيرة سيناء وشمال الحجاز والصحراء الفلسطينية حتى البحر الميت ووصل بعضهم إلى منطقة طبرية. وقد اختلطوا بالكنعانيين واقتبسوا عاداتهم، وهم الذين سحبو يوسف بن يعقوب (عليهما السلام) من البئر وباعوه لقافلة تجارية كانت قادمة من بلاد عجلون. وقد عمل هولاء بالرعي والزراعة، وهم الذين أدخلوا الجمل في القرن الحادي عشر قبل الميلاد إلى فلسطين واستعملوه في الانتقال والغزو. انظر:بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص١٧٤، حاشية(٢).
- (228) بورشارد: وصف الأراضي المقدسة، ص ١٧٤ .
- (229) النصيرية: هي فرقة شيعية متطرفة، كانت تؤله الامام علي بن ابي طالب، وتعد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي الذي اغتاله لأنه بقتله فصل اللاهوت عن الناسوت في شخص الامام ، وقد نظر المؤرخين المسلمين في العصور الوسطى للنصيرية علي أنهم كفار خارجين علي الإسلام. عنهم انظر: الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق محمد النشار، ط.بيروت، ١٩٨٢م، ص٦١، سليمان الحلبي: طائفة النصيرية، ط.(القاهرة، ١٩٨٢)، الحسيني عبد الله: الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، ط.(القاهرة، ١٩٨٠م) ص٢٧-٦٥،
- Dussaud: Histoire de Religion des Nusairis,(Paris,1900),P. 20-26

(230) هو شيخ الإسماعيلية النزارية، الذي يعرف بشيخ الحشاشين ، وقد تعاقب علي هذا المنصب مجموعة من الشخصيات القوية من أمثال الحسن الصباح – مؤسس حركة الحشاشين والذي يعتبر من أكبر المؤيدين للطائفة النزارية – وراشد الدين سنان الذي ارتفع في عهده شأن حركة الحشاشين في بلاد الشام. وفي عهد راشد الدين سنان حاول الحشاشون القضاء علي صلاح الدين الأيوبي، وقاموا بمحاولتين لاغتياله، ومن حسن الحظ أن المحاولتين فشلتا. وقد جرت مفاوضات بين صلاح الدين الأيوبي وبين راشد الدين سنان شيخ الجبل بطلب من الأخير، وقد نجحت المفاوضات، وانتهت بعقد معاهدة ومصالحة بين الطرفين، وتم القضاء عليهم علي يد الظاهر بيبرس سنة ١٢٧٣م. عن الإسماعيلية وأخبارهم أنظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ،مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية،ط٤(بيروت،٢٠٠٣م)،ج٩،ص٣٦-٤٣، أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد أحمد حلمي (القاهرة١٩٦٢م)،ج١، ص٦٠٧-٦١١، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان (دمشق، ١٩٤٥م) ، ج٢،ص١٤٧،١٤٥،١٥٣، عثمان عبد الحميد عشري: الإسماعيليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية(٤٩١-٦٩١هـ/١٠٩٧-١٢٩٠م) رسالة دكتوراه غير منشوره بكلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٢٠، ٢١ وما بعدها.

(231) بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص١٧٤-١٧٥.



قائمة المصادر والمراجع العربية والمعربة

أولاً: المصادر العربية:

— القرآن الكريم.

— الكتاب المقدس.

ابن الأثير (ت ١٢٣٢م/٦٣٠هـ) عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري:

— الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط٤ (بيروت، ٢٠٠٣م).

ابن جبير (ت ١٢١٩م/٦١٦هـ) محمد بن أحمد المعروف بابن جبير:

— رحلة ابن جبير، الهيئة العامة لقصور الثقافة (القاهرة، ١٩٩٨م).

الإدريسى: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، (روما، ١٩٧٦م).

ابن سيده، المخصص، ج١، (دار إحياء التراث العربي) ط١، تحقيق خليل إبراهيم جفال (بيروت ١٩٩٦)

الشابشتي: الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط١. (بغداد، ١٩٥١م).

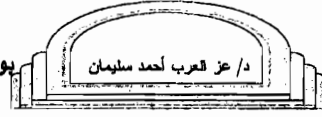
أبو شامة (ت ١٢٦٨م/٦٦٥هـ) أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي:

— الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج١، تحقيق محمد أحمد حلمي (القاهرة ١٩٦٢م).

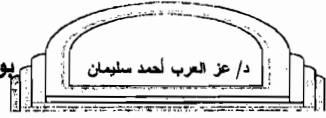
الاصطخري (ت القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد

الفارسي:

— المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدا لعال، (القاهرة ٢٠٠٤).



- أبن العديم: (ت ١٢٦٢م/٦٦٠هـ) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله:
- زبدة الحلب فى تاريخ حلب، ج٢، تحقيق سامى الدهان (دمشق، ١٩٤٥م).
- ابن عساكر: (ت ١٢٢٣م/٥٧١هـ): أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله:
- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. (دمشق، ١٩٥٥م).
- القزوينى: عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات، ط. القاهرة، ب. ت.
- المقدسى (ت القرن العاشر الميلادى/ الرابع الهجرى) شمس الدين أبو عبد الله البشارى:
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، (لبن، ١٩٠٦م).
- ناصر خسرو (ت: ١٠٦١م/٤٥٣هـ) أبو معين الدين العلوى:
- سفر نامه ، ترجمة يحيى الخشاب، الطبعة الثالثة، (القاهرة، ١٩٩٣م).
- ياقوت الحموى (ت: ١٢٢٨م/٦٢٦هـ) أبى عبد الله ياقوت الحموى الرومى:
- معجم البلدان، (بيروت، ١٩٧٧م). يوسابىوس القيصرى: (ت: ٣٤٠م):
- تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، الطبعة ٣، (القاهرة، ١٩٩٨م).



ثانياً: المصادر الأجنبية والمترجمة:

Anonymous:

The Deeds of the Franks and the other pilgrims to Jerusalem, Trans. by R. Hill, London, 1962

Daniel:

The pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land, Trans. By Wilson ., P.P.T.S., Vol., IV ,(London, 1895

Hume :

, Medical Work of the knights Hospitallers of Saint , Institute of the History of Medicine of the John Hopkins University, Baltimore 1940.

John of Wurzburg:

Description of the Holy Land . Tran. by Stewart A (London 1890)

St. Gregory :

Life and miracles of St. Benedict, tran. By Ono. J. Zimmermann, (Minnesota, 1949).

Fulcher of Chartres:

History of the expedition to Jerusalem, Trans. By Francise Rita Rian, Tennessee, 1969,

Peter The Venerable:

The Letters of Peter The Venerable, ed. By Giles Constable, (Cambridge, 1967)

William of Tyre:

History of deeds done beyond the Sea, Trans. by Babcock and Krey, Vol. II, New York, 1943

بورشارد من دير جبل صهيون: (ت:١٢٨٣م):

وصف الأرض المقدسة، ترجمة سعيد عبدا لله البيشاوى، طبعة أولى، (عمان، ١٩٩٥م)

التطيلي الأندلسى (ت ١٣٤٨م/٥٨٩هـ) بنيامين بن يون

----- رحلة بنيامين، ترجمة عزار حداد، الطبعة الأولى، (بغداد، ١٩٤٥م).

ثيودريش (ت:١١٧٣م):

----- وصف الأماكن المقدسة فى فلسطين، ت. سعيد عبد الله البيشاوى، رياض شاهين، ط الشروق

----- عمان (٢٠٠٣م). دانيال الراهب (ق١٢م):

----- رحلة الحاج الروسى دانيال الراهب فى الأراضى المقدسة، ت. سعيد البيشاوى وداود أبو

هدية، ط١، (عمان ١٩٩٢م).

جاك دي فنري: عن لغتها اللاتينية، دراسة وثائقية فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ١٢٠٠

----- ١٢٤٠م. ت. عبد اللطيف عبد الهادى السيد، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٥م.

وليم الصوري (١١٨٤م):

الحروب الصليبية، ج٢، ترجمة حسن حبشى، الهيئة العامة للكتاب، (القاهرة ١٩٩٦)

يعقوب الفنري (١٢٤٠م):

----- تاريخ بيت المقدس، ت. سعيد البيشاوى، ط١، دار الشروق (عمان، ١٩٩٨م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

Aryeh Grabois:

"Christian Pilgrims in the Thirteenth Century and the Latin Kingdom of Jerusalem: Burchard of Mount Sion. In Joshua Praver: Outremer, studies in the history of Crusading kingdom of Jerusalem. (Jerusalem, 1982). Bernard Lewis:

"The Ismailites and assassins" In Setton: A History of the Crusades, Vol., I, (Penslvenia, 1958).

Bettenson.H.

Documents of Church, 2nd Edition, (Oxford, 1963).

Bredero .H.A:

Cluny et Citeaux Au Douzieme Siecle, (Paris, 1985).

Boud.A.

Cluny un grand Chantier medieval au Coeur de L` Europe,(Paris 2004).

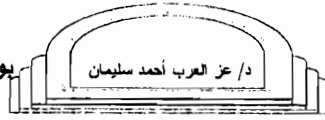
Byren,(E.H.): Genoese Trade with Syria in the Twelfth Century, In, R., Vol. XXV,(192٥)س.A.H.

Cannon.W.

Histoire du Christianisme Au Mayen age, (Paris, 1961).

Couasnon. Ch.:

The Church of the Holy Sepulchre in Jerusalem. Trans. By J.P.B. and Cloude Ross (London,1974)



Cowdery .H. E.D:

The Cluniacs and the Gregorian Reform, (Oxford, 1970).

Deanesly.M.,:

A History of the Medieval Church. (Cambridge, 1978).

Dussaud:

Histoire de Religion des Nusairis, (Paris, 1900).

Hastings:

Dictionary of the Bible, (New York, 1963).

Leclerq:

Pierre Le Venerable,(Paris,1946)

Raymond Oursel:

Le Secret de Cluny., Paris, 1995).

Robbert,(L.B): Venice and the Crusades". In Setton: History of the Crusades,
Vol.V,(Winsconsin,1985

Smith (J. R.) : The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem (1174 – 1277),
(London,1974).

Southern:

Western Views of Islam in the Middle Ages, (Cambridge, 1962).

Thompson,(J.W): Economic and Social History of the middle ages (300 –
1300),Vol,I,(New York,1949),

WWW. Wikipedia.org.

رابعاً: المراجع العربية والمعربة:

إبراهيم خميس (دكتور): دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية) ط. (الإسكندرية، ٢٠٠٢م).

إحسان عباس (دكتور): تاريخ بلاد الشام من فترة ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموى، (عمان ١٩٩٠م).

-----: تاريخ دولة الأنباط، الطبعة الأولى (عمان ١٩٨٧م).

الحسينى عبد الله (دكتور): الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، ط. (القاهرة، ١٩٨٠م).

أسد رستم: عصر أوغسطس قيصر وخلفائه (٤٤ق.م - ٦٩م) (بيروت، ١٩٦٥م).

أيرين فرانك، ديفيد براونستون: طريق الحرير، أحمد محمود، ط. المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة، (١٩٩٧م)،

السيد عبد العزيز سالم (دكتور): تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى، م شباب الجامعة،

(إسكندرية، ١٩٨٦م). جوزيف نسيم يوسف (دكتور): تاريخ العصور الوسطى الأوربية

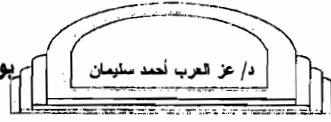
وحضارتها، (إسكندرية ١٩٨٨م).

جونثان ريلى سميث: الاستبارة، فرسان القديس يوحنا فى بيت المقدس وقبرص (١٠٥٠-

١٣١٠م) ترجمة صبحى الجابى (دمشق، ١٩٨٤م).

جيرار دي جورج: دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية، ترجمة محمد رفعت

عواد، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٥م).



حسن عبد الوهاب(دكتور): تاريخ جماعة الفرسان التوتون فى الأراضى المقدسة، ١١٩٠-١٢٩١م/٥٨٦-٦٩٠هـ،ط.(الإسكندرية، ١٩٩٠م).

-----: تاريخ قيسارية الشام فى التاريخ الإسلامى،ط.(الإسكندرية، ١٩٩٠م).

حسنىن محمد ربيع(دكتور): دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية،دار النهضة العربية،(القاهرة، ١٩٨٣م).

حنا جرجس الخضرى(القس): تاريخ الفكر المسيحى، مجلد ١، دار الثقافة(القاهرة، ١٩٨١م).

دونالد. ر. دولى: حضارة روما، ترجمة جميل الذهبى وفاروق فريد، (القاهرة، ١٩٧٩م).

رأفت عبد الحميد (دكتور): الدولة والكنيسة، ج٢، طبعة دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨٢م).

رانسىمان (ستيفن): الحضارة البيزنطية،ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد،(القاهرة ١٩٦١).

-----:تاريخ الحملات الصليبية،ج٢،ترجمة نور الدين خليل،(القاهرة، ١٩٩٧م).

سامى سعد الأحمد (دكتور): تاريخ فلسطين القديم،ط. (بغداد، ١٩٧٩م).

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): أوربا العصور الوسطى، ج٢، النظم والحضارة(القاهرة، ١٩٥٩م).

-----:الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، طبعة ١، النهضة العربية (القاهرة، ١٩٦٣).

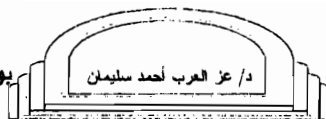
-----: الحركة الصليبية، ج٢، طبعة الرابعة، (القاهرة، ١٩٨٦).

سعيد عبد الله البىشاوى(دكتور): الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية،ط١ (إسكندرية ١٩٩٠).

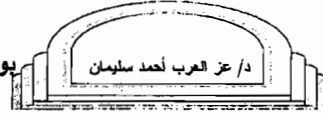
-----: نابلس " الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية" طبعة أولى،(عمان، ١٩٩١م).

سليمان الحلبي (دكتور): طائفة النصيرية،ط.(القاهرة، ١٩٨٢).

صلاح الدين المنجد (دكتور): مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين،ط.(بيروت، ١٩٦٢م).



- طه قلجي الطراونة (دكتور): تاريخ مملكة صفد في عهد المماليك. ط. (بيروت، ١٩٨١ م) .
- عبد الحميد زايد (دكتور): القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٧٤ م).
- عبد الرحمن المغربي (دكتور): "قصب السكر في فلسطين إبان السيطرة الفرنجية ١٠٩٩-١٢٩١م" مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، م (٢٠) عام ٢٠٠٦ م.
- عبد الرحمن حميده (دكتور): طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركوبولو مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق السنة (١٢)، العددان ٣٩، ٤٠، كانون الأول، ١٩٩١ م.
- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، دار الجيل (بيروت، بدون تاريخ).
- عثمان عبد الحميد عشري (دكتور): الإسماعيليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية (٤٩١-٦٩١هـ/١٠٩٧-١٢٩٠م) رسالة دكتوراه غير منشوره بكلية آداب جامعة القاهرة، (١٩٧٥ م).
- أبو عساف: "طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم" مجلة دراسات تاريخية - جامعة دمشق السنة (١٢)، العددان ٣٩، ٤٠، كانون الأول، ١٩٩١ م.
- عفاف شكري (دكتور): "حول ترجمة معاني القرآن الكريم" مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٤٢)، ط. (الكويت، ٢٠٠٠ م).
- عمر كمال توفيق (دكتور): مملكة بيت المقدس الصليبية، طبعة أولى، (أسكندرية، ١٩٥٨ م).
- لي سترانج : فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة محمود عميري، طبعة أولى (عمان، ١٩٧٠ م).
- فون باجوت جلوب: اليهود واليهودية في العصور القديمة، ت رشاد الشامي، (القاهرة، ٢٠٠١ م).
- كرم حلمي فرحات أحمد (دكتور): تعدد الزوجات في الأديان، دار الوفاق العربية، ط. (القاهرة، ٢٠٠٢ م).



كليفورد بوزورث وجوزيف شاخت: تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهورى وآخرون، عالم المعرفة (الكويت، ١٩٧٨م).

محمد فوزى رحيل (دكتور): نهاية الصليبين " مملكة عكا الصليبية " دراسة لعوامل الانهيار والسقوط، عين للدراسات والبحوث، (القاهرة، ٢٠٠٩م).

محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور): النظم والحضارة الأوربية فى العصور الوسطى (أسكندرية ١٩٩٦م).

محمد مؤنس عوض (دكتور): الحروب الصليبية (السياسة - المياه - العقيدة) عين للدراسات والبحوث الإنسانية (القاهرة ٢٠٠١م).

الرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية. ط. (القاهرة، ١٩٩٥م).

====
دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى)، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

الرحالة الأوربيون فى العصور الوسطى، ط ١، العين للدراسات والبحوث، (القاهرة، ٢٠٠٤م).

====
"الأسماك فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية" ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية، بحوث ودراسات، ط. ١ (القاهرة، ٢٠٠٥م).

الحروب الصليبية، دراسات فى التاريخ المقارن، طبعة ١ (القاهرة، ٢٠١٠م).

محمود محمد الحويرى (دكتور): الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٧٩م).

روية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨١م).

مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ١: ٧ (بيروت، ١٩٧٣-١٩٧٤م).

نبيلة إبراهيم مقامى (دكتور): فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين، طبعة جامعة القاهرة، (القاهرة، ١٩٩٤م).

نعمان جبران(دكتور) : محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير(أسباب ونتائج) مجلة دراسات تاريخية - جامعة دمشق السنة(١٢)، العددان ٣٩، ٤٠، كانون الأول، ١٩٩١م

نقولا زيادة: رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى، طبعة بيروت، ١٩٨٦م

هابيل فهمى عبد الملك (دكتور): أورشليم "القدس" منذ أقدم العصور وحتى بداية العصر الرومانى "بحث منشور فى الندوة الدولية التى عقدت بمركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط تحت عنوان " القدس التاريخ والمستقبل " (أكتوبر، ١٩٩٦م) .

هايد . ف: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ج١، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة عز الدين فوده، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م).

ول. ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط. القاهرة، (٢٠٠١م) مج ٨، ج ١٥.

يوشع براور: الاستيطان الصليبي فى مملكة بيت المقدس، ت. عبد الحافظ البناء، (القاهرة، ٢٠٠١م).



بلاد الشام في القرن الثالث عشر الميلادي
 دكتور محمد حسين مؤنس، المجلس القومي للإسلام، ص ٢٦٦

